رسالہ تحفۃ الاسلام

هذه الرسائل تأليف العلامة
الإمام حجة الإسلام أبي حامد
محمد بن محمد الغزالي
قدس الله
سره

الأولى رسالة إلجام العوام عن علم الكلام
والثانية
كتاب المنقذ من الضلال
والثالثة
كتاب المضنون به على غير أهله
والرابعة
كتاب ترتيب الأوراد للإمام الغزالي

الى طائفة تقربا الى الله سبحانه وتعالى باظهار الحق الصريح من غير مداهنة ومراقبة جانب ومحافظة على تعصب لمذهب دون مذهب فالحق اولى بالمراقبة والصدق والانصاف اولى بالمحافظة عليه واسال الله التوفيق وهو باجابة داعيه حقيق وها انا رتبت الكتاب على ثلاثة ابواب باب في بيان حقيقة مذهب السلف في هذه الاخبار وباب في البرهان على ان الحق فيه مذهب السلف وان من خالفهم فهو مبتدع وباب في فصول متفرقة نافعة في هذا الفن

الباب الاول في شرح اعتقاد السلف في هذه الاخبار

اعلم ان الحق الصريح الذي لا مراء فيه عند اهل البصائر هو مذهب السلف اعني مذهب الصحابة والتابعين وها انا اورد بيانه وبيان برهانه **فاقول** حقيقة مذهب السلف وهو الحق عندنا ان كل من بلغه حديث من هذه الاحاديث من عوام الخلق يجب عليه فيه سبعة امور التقديس ثم التصديق ثم الاعتراف بالعجز ثم السكوت ثم الامساك ثم الكف ثم التسليم لاهل المعرفة اما التقديس فاعني به تنزيه الرب تعالى عن الجسمية وتوابعها واما التصديق فهو الايمان بما قاله صلى الله عليه وسلم وان ما ذكره حق وهو فيما قاله صادق وانه حق على الوجه الذي قاله واراده واما الاعتراف بالعجز فهو ان يقر بان معرفة مراده ليست على قدره وطاقته وان ذلك ليس من شانه وحرفته واما السكوت فان لا يسال عن معناه ولا يخوض فيه ويعلم ان سؤاله عنه بدعة وانه في خوضه فيه مخاطر بدينه وانه يوشك ان يكفر لو خاض فيه من حيث لا يشعر واما الامساك فان لا يتصرف في تلك الالفاظ بالتصريف والتبديل بلغة اخرى والزيادة فيه والنقصان منه والجمع والتفريق بل لا ينطق الا بذلك اللفظ وعلى ذلك الوجه من الايراد والاعراب والتصريف والصيغة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تجلى لكافة عباده بصفاته واسمائه وتاهت عقول الطالبين في بيداء كبريائه وقص اجنحة الافكار دون حمى عزته وتعالى بجلاله عن ان تدرك الافهام كنه حقيقته واستوفى قلوب اوليائه وخاصته واستغرق ارواحهم حتى احترقوا بنار محبته وبهتوا في اشراق انوار عظمته وخرست السنتهم عن الثناء على جمال حضرته الا بما اسمعهم من اسمائه وصفاته و انباهم على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم خير خليقته وعلى اصحابه وعترته اما بعد فقد سالتني ارشدك الله عن الاخبار الموهمة للتشبيه عند الرعاع والجهال من الحشوية الضلال حيث اعتقدوا في الله و صفاته ما يتعالى ويتقدس عنه من الصورة واليد والقدم والنزول و الانتقال والجلوس على العرش والاستقرار وما يجري مجراه مما اخذوه من ظواهر الاخبار وصورها وانهم زعموا ان معتقدهم فيه معتقد السلف واردت ان اشرح لك اعتقاد السلف وان ابين ما يجب على عموم الخلق ان يعتقدوه في هذه الاخبار واكشف فيه الغطاء عن الحق و اميز ما يجب البحث عنه عما يجب الامساك والكف عن الخوض فيه فاجبتك

او صغيرا كالذرة والهباء او جمادا كالحجارة او حيوانا كالانسان فالجسم
صنم فبان يقدر حسنه وجماله او عظمه او صغره او صلابته وبقاؤه لا
يخرج عن كونه صنما ومن نفى الجسمية عنه وعن يده واصبعه فقد نفى
العضوية واللحم والعصب وقدس الرب جل جلاله عما يوجب الحدوث
وليعتقد بعده انه عبارة عن معنى من المعاني ليس بجسم ولا عرض في
جسم يليق ذلك المعنى بالله تعالى فان كان لا يدري ذلك المعنى ولا
يفهم كنه حقيقته فليس عليه في ذلك تكليف اصلا فمعرفة تاويله ومعناه
ليس بواجب عليه بل واجب عليه ان لا يخوض فيه كما سياتي مثال اخر اذا
سمع الصورة في قوله عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته واني رأيت
ربي في احسن صورة فينبغي ان يعلم ان الصورة اسم مشترك قد
يطلق ويراد به الهيئة الحاصلة في اجسام مؤلفة مرتبة ترتيبا مخصوصا
مثل الانف والعين والفم والخد التي هي اجسام وهي لحوم وعظام وقد
يطلق ويراد به ما ليس بجسم ولا هيئة في جسم ولا هو ترتيب في اجسام كقوله
عرف صورته وما يجري مجراه فليتحقق كل مؤمن ان الصورة في حق الله
لم تطلق لارادة المعنى الاول الذي هو جسم لحمي وعظمي مركب من انف
وفم وخد فان جميع ذلك اجسام وهيئات في اجسام وخالق الاجسام
والهيئات كلها منزه عن مشابهتها وصفاتها واذا علم هذا يقينا فهو
مؤمن فان خطر له انه ان لم يرد هذا المعنى فما الذي اراده فينبغي ان يعلم
ان ذلك لم يؤمر به بل امر بان لا يخوض فيه فانه ليس على قدر طاقته لكن
ينبغي ان يعتقد انه اريد به معنى يليق بجلال الله وعظمته مما ليس بجسم ولا
عرض في جسم مثال اخر اذا قرع سمعه النزول في قوله صلى الله عليه وسلم
ينزل الله تعالى في كل ليلة الى السماء الدنيا فالواجب عليه ان يعتقد ان النزول

واما الكف فان يكف باطنه عن البحث عنه والتفكر فيه واما التسليم لاهله فان لا يعتقد ان ذلك ان خفي عليه لعجزه فقد خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم او على الانبياء او على الصديقين والاولياء فهذه سبع وظائف اعتقد كافة السلف وجوبها على كل العوام لا ينبغي ان لا يظن بالسلف الخلاف في شئ منها فلنشرحها وظيفة وظيفة ان شاء الله تعالى الوظيفة الاولى التقديس ومعناه انه اذا اسمع اليد والاصبع وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله خمر طينة آدم بيده وان قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فينبغي ان يعلم ان اليد تطلق لمعنيين احدهما هو الوضع الاصلي وهو عضو مركب من لحم وعظم وعصب واللحم والعظم والعصب جسم مخصوص وصفات مخصوصة اعني بالجسم عبارة عن مقدار له طول وعرض وعمق يمنع غيره من ان يوجد بحيث هو الا بان يتنحى عن ذلك المكان وقد يستعار هذا اللفظ اعني اليد لمعنى آخر ليس ذلك المعنى بجسم اصلا كما يقال البلدة في يد الامير فان ذلك مفهوم وان كان الامير مقطوع اليد مثلا فعلى العامي وغير العامي ان يتحقق قطعا ويقينا ان الرسول عليه السلام لم يرد بذلك جسما هو عضو مركب من لحم ودم وعظم وان ذلك في حق الله تعالى محال وهو عنه مقدس فان خطر بباله ان الله جسم مركب من اعضاء فهو عابد صنم فان كل جسم فهو مخلوق وعبادة المخلوق كفر وعبادة الصنم كانت كفرا لانه مخلوق وكان مخلوقا لانه جسم فمن عبد جسما فهو كافر باجماع الائمة السلف منهم والخلف سواء كان ذلك الجسم كثيفا كالجبال الصم الصلاب او لطيفا كالهواء والماء وسواء كان مظلما كالارض او مشرقا كالشمس والقمر والكواكب او مشفا لا لون له كالهواء او عظيما كالعرش والكرسي والسماء

غير مراد وانه الله تعالى محال فانه من لوازم الاجسام او لوازم اعراض
الاجسام واذا عرف نفي هذا المحال فلا عليه ان لم يعرف انه لماذا اطلق
وماذا اريد فقس على ما ذكرناه ما لم نذكره الوظيفة الثانية الايمان و
التصديق وهو ان يعلم قطعا ان هذه الالفاظ اريد بها معنى يليق
بجلال الله وعظمته وان رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق في وصف
الله تعالى به فليؤمن بذلك وليوقن بان ما قاله صدق وما اخبر عنه
حق لا ريب فيه وليقل آمنا وصدقنا وان ما وصف الله تعالى به نفسه
او وصفه به رسوله فهو كما وصفه وحق بالمعنى الذي اراده وعلى الوجه الذي
قاله وان كنت لا تقف على حقيقته فان قلت التصديق انما يكون بعد
التصور والايمان انما يكون بعد التفهم فهذه الالفاظ اذا لم يفهم
العبد معانيها كيف يعتقد صدق قائلها فيها فجوابك ان التصديق بالامور
الجملية ليس بمحال وكل عاقل يعلم انه اريد بهذه الالفاظ معان وان كل
اسم فله مسمى اذا نطق به من اراد مخاطبة قوم قصد ذلك المسمى فيمكنه
ان يعتقد كونه صادقا مخبرا عنه على ما هو عليه فهذا معقول على سبيل
الاجمال بل يمكن ان يفهم من هذه الالفاظ امور جملية غير مفصلة ويمكن
التصديق كما اذا قال في البيت حيوان امكن ان يصدق دون ان
يعرف انه انسان او فرس او غيره بل لو قال فيه شيء امكن تصديقه
وان لم يعرف ما ذلك الشيء فكذلك من سمع الاستواء على العرش فهم
على الجملة انه اريد بذلك نسبة خاصة الى العرش فيمكنه التصديق قبل
ان يعرف ان تلك النسبة هي نسبة الاستقرار عليه او الاقبال على خلقه
او الاستيلاء عليه بالقهر او معنى آخر من معاني النسبة فامكن التصديق
به وان قلت فاي فائدة في مخاطبة الخلق بما لا يفهمون فجوابك انه قصد

اسم مشترك قد يطلق اطلاقا يفتقر فيه الى ثلاثة اجسام جسم عال هو مكان
لساكنه وجسم سافل كالارض وجسم منتقل من السافل الى العالي ومن العالي
الى السافل فان كان من اسفل الى علو سمي صعودا وعروجا ورقيا وان كان
من علو الى اسفل سمي نزولا وهبوطا وقد يطلق على معنى آخر ولا يفتقر
فيه الى تقدير انتقال وحركة في جسم كما قال الله تعالى وانزل لكم من الانعام
ثمانية ازواج وما رئي البعير والبقر نازلا من السماء بالانتقال بل هي مخلوقة
في الارحام ولانزالها معنى لا محالة كما قال الشافعي رضي الله عنه دخلت
مصر فلم يفهموا كلامي فنزلت ثم نزلت ثم نزلت فلم يرد به انتقال بدنه
الى اسفل فتحقق المؤمن قطعا ان النزول في حق الله تعالى ليس بالمعنى الاول
وهو انتقال شخص وجسد من علو الى اسفل فان الشخص والجسد اجسام
والرب جل جلاله ليس بجسم فان خطر له انه ان لم يرد هذا فما الذي اراد
فيقال له انت اذا عجزت عن فهم نزول البعير من السماء فانت عن فهم
نزول الله تعالى اعجز فليس هذا بعشك فادرجي واشتغل بعبادتك او
حرفتك واسكت واعلم انه اريد به معنى من المعاني التي يجوز ان يراد
بالنزول في لغة العرب ويليق ذلك المعنى بجلال الله تعالى وعظمته وان
كنت لا تعلم حقيقته وكيفيته مثال آخر اذا سمع لفظ الفوق في قوله تعالى
وهو القاهر فوق عباده وفي قوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم فليعلم
ان الفوق اسم مشترك يطلق لمعنيين احدهما نسبة جسم الى جسم بان
يكون احدهما اعلى والآخر اسفل يعني ان الاعلى من جانب راس الاسفل
وقد يطلق لفوقية الرتبة وبهذا المعنى يقال الخليفة فوق السلطان و
السلطان فوق الوزير وكما يقال العلم فوق العمل والاول يستدعي جسما
ينسب [illegible] والثاني لا يستدعيه فليعتقد المؤمن قطعا ان الاول

هم بكثرة المطوي وقلة المكشوف بالاضافة اليه والاضافة الى المطوي المستوي
الى سيد الانبياء صلوات الله عليه لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على
نفسك وبالاضافة الى المكشوف قال صلوات الله عليه اعرفكم بالله اخوفكم
منه وانا اعرفكم بالله ولاجل كون العجز والقصور ضروريا في اخر الامر
بالاضافة الى منتهى الحال قال سيد الصديقين العجز عن درك الادراك ادراك
فأوائل حقائق هذه المعاني بالاضافة الى عوام الخلق كاواخرها بالاضافة الى
خواص الخلق فكيف لا يجب عليهم الاعتراف بالعجز الوظيفة الرابعة
السكوت عن السؤال وذلك واجب على العوام لانه بالسؤال متعرض لما
لا يطيقه وخائض فيما ليس اهلا له فان سال جاهلا زاده جوابه جهلا وربما
ورطه في الكفر من حيث لا يشعر وان سال عارفا عجز العارف عن تفهيمه بل
عجز عن تفهيم ولده مصلحته في خروجه الى المكتب بل عجز الصانع عن تفهيم
النجار دقائق صناعته فان النجار وان كان بصيرا بصناعته فهو عاجز عن
دقائق الصياغة لانه انما يعلم دقائق النجر لاستغراقه العمر في تعلمه وممارسته
فكذلك يفهم الصائغ الصياغة ايضا لصرف العمر الى تعلمه وممارسته وقبل
ذلك لا يفهمه فالمشغولون بالدنيا وبالعلوم التي ليست من قبيل معرفة
الله عاجزون عن معرفة الامور الالهية عجز كافة المعرضين عن الصناعات
عن فهمها بل عجز الصبي الرضيع عن الاغتذاء بالخبز واللحم لقصور في فطرته
لا لعدم الخبز واللحم ولا لانه قاصر على تغذية الاقوياء لكن طبع الضعفاء
قاصر عن التغذي به فمن اطعم الصبي الضعيف اللحم والخبز او امكنه
من تناوله فقد اهلكه وكذلك العامي اذا طلب بالسؤال هذه المعارف
يجب زجرهم ومنعهم وضربهم بالدرة كما كان يفعله عمر رضي الله عنه بكل من
سال عن الايات المتشابهات وكما فعله صلى الله عليه وسلم في الانكار على قوم

بهذا الخطاب تفهيم من هو اهله وهم الاولياء والراسخون في العلم وقد
فهموا وليس من شرط من خاطب العقلاء بكلام ان يخاطبهم بما يفهم
الصبيان والعوام وبالاضافة الى العارفين كالصبيان بالاضافة الى البالغين و
لكن على الصبيان ان يسألوا البالغين عما يفهمونه وعلى البالغين ان يجيبوا
الصبيان بان هذا ليس من شأنكم ولستم من اهله فخوضوا في حديث غيره
فقد قيل للجاهل فاسألوا اهل الذكر فان كانوا يطيقون فهمه فهموهم والا
قالوا لهم وما اوتيتم من العلم الا قليلا فلا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم
تسؤكم ما لكم ولهذا السؤال هذه معان الايمان بها واجب والكيفية مجهولة
أي مجهولة لكم والسؤال عنه بدعة كما قال مالك الاستواء معلوم والكيفية
مجهولة والايمان به واجب فاذن الايمان بالجليات التي ليست مفصلة في الذهن
ممكن ولكن تقديسه الذي هو نفي المحال عنه ينبغي ان يكون مفصلا فان
المنفي هي الجسمية ولوازمها ونعني بالجسم ههنا الشخص المقدر الطويل العريض
العميق الذي يمنع غيره من ان يوجد بحيث هو الذي يدفع ما يطلب مكانه
ان كان قويا ويندفع ويتنحى عن مكانه بقوة دافعه ان كان ضعيفا وانما
شرحنا هذا اللفظ مع ظهوره لان العامي ربما لا يفهم المراد به الوظيفة
الثالثة الاعتراف بالعجز ويجب على كل من لا يقف على كنه هذه المعاني
وحقيقتها ولم يعرف تأويلها والمعنى المراد به ان يقر بالعجز فان التصديق
واجب وهو عن دركه عاجز فان ادعى المعرفة فقد كذب وهذا معنى
قول مالك الكيفية مجهولة يعني تفصيل المراد به غير معلوم بل الراسخون
في العلم والعارفون من الاولياء ان جاوزوا في المعرفة حدود العوام و
جالوا في ميدان المعرفة وقطعوا من بواديها اميالا كثيرة فما بقي لهم مما
لم يبلغوه وهو بين ايديهم اكثر بل لا نسبة لما طوي عنهم الى ما كشف

تتقاضى فيما يتصور ان ينحني وينعوج والثاني ينبئ عن سكون وثبات ما يتصور ان يتحرك ويضطرب واشعاره بهذه المعاني واشارته اليها في العجمية اظهر من اشعار لفظ الاستواء واشارته اليها فاذا تفاوتا في الدلالة والاشعار لم يكن هذا مثل الاول وانما يجوز تبديل اللفظ بمثله المرادف له الذي لا يخالفه بوجه من الوجوه الا بما لا يبائنه ولا يخالفه ولو بادنى شيء واد قه واخفاه مثال الثاني ان الاصبع يستعار في لسان العرب للنعمة يقال لفلان عندي اصبع اي نعمة ومعناها بالفارسية انكشت وما جرت عادة العجم بهذه الاستعارة وتوسع العرب في التجوز والاستعارة اكثر من توسع العجم بل لا نسبة لتوسع العرب الى جمود العجم فاذا حسن ارادة المعنى المستعار له في العرب وسمج ذلك في العجم نفر القلب عن ما سمج ومجه السمع ولم يمل اليه فاذا تفاوتا لم يكن التفسير تبديلا بالمثل بل بالخلاف ولا يجوز التبديل الا بالمثل مثال الثالث العين فان من فسره فانما يفسره باظهر معانيه فيقول هو چشم وهو مشترك في لغة العرب بين العضو الباصر وبين الماء والذهب والفضة وليس للفظ چشم وهو مشترك هذا الاشتراك وكذلك لفظ الجنب والوجه يقرب منه فلاجل هذا نرى المنع من التبديل الا على العربية فان قيل هذا التفاوت ان ادعيتموه في جميع الالفاظ فهو غير صحيح اذ لا فرق بين قولك خبز ونان وبين قولك لحم وگوشت وان اعترف بان ذلك في البعض فامنع من التبديل عند التفاوت لا عند التماثل فالجواب ان الحق ان التفاوت في البعض لا في الكل فلعل لفظ اليد ولفظ دست يتساويان في اللغتين في الاشتراك والاستعارة وسائر الامور ولكن اذا انقسم الى ما يجوز والى ما لا يجوز وليس ادراك التمييز بينهما والوقوف على دقائق التفاوت جليا سهلا يسيرا على كافة الخلق

وانهم خاضوا في مسئلة القدر وسألوا عنه فقال عليه السلام ابهذا امرتم
وقال انما هلك من كان قبلكم بكثرة السؤال او لفظ هذا معناه كما اشتهر في
الخبر وبهذا اقول يحرم على الوعاظ على رؤس المنابر الجواب عن هذه الاسئلة
بالخوض في التاويل والتفصيل بل الواجب عليهم الاقتصار على ما ذكرناه وذكره
السلف وهو المبالغة في التقديس ونفي التشبيه وانه تعالى منزه عن الجسمية
وعوارضها وله المبالغة في هذا بما اراد حتى يقول كل ما خطر ببالكم وهجس
في ضميركم وتصور في خواطركم فالله تعالى خالقها وهو منزه عنها وعن مشابهتها
وان ليس المراد بالاخبار شيء من ذلك واما حقيقة المراد فلستم من اهل
معرفتها والسؤال عنها فاشتغلوا بالتقوى فما امركم الله تعالى به فافعلوه وما
نهاكم عنه فاجتنبوه وهذا قد نهيتم عنه فلا تسألوا عنه ومهما سمعتم شيئا من
ذلك فاسكتوا وقولوا آمنا وصدقنا وما اوتينا من العلم الا قليلا وليس هذا
من جملة ما اوتينا الوظيفة الخامسة الامساك عن التصرف في الفاظ الوا
ردة ويجب على عموم الخلق الجمود على الفاظ هذه الاخبار والامساك عن
التصرف فيها من ستة اوجه التفسير والتاويل والتصريف والتفريع
والجمع والتفريق (الاول) التفسير واعني به تبديل اللفظ بلغة اخرى
يقوم مقامها في العربية او معناها بالفارسية او التركية بل لا يجوز النطق الا
باللفظ الوارد لان من الالفاظ العربية ما لا يوجد لها فارسية تطابقها
ومنها ما يوجد لها فارسية تطابقها لكن ما جرت عادة الفرس باستعارتها
للمعاني التي جرت عادة العرب باستعارتها لها ومنها ما يكون مشتركا
في العربية ولا يكون في العجمية كذلك اما الاول فمثاله لفظ الاستواء فانه
ليس له في الفارسية لفظ مطابق يؤدي بين الفرس من المعنى الذي
يؤديه لفظ الاستواء بين العرب بحيث لا يشتمل على مزيد ايهام فان فارسيته
ان يقال راست باستاد وهذان لفظان الاول ينبئ عن انتصاب و

مضطرب القلب والبدن وذلك حرام لانه عرضه لخطر الهلاك فانه لا يقوى
على حفظ فى لجة البحر وان قدر على حفظه فى القرب من الساحل ولو امره
بالوقوف بقرب الساحل لا يبالى به وان امره بالسكون عند التطام الامواج
واقبال التماسيح وقد فغرت فاها للالتقام اضطرب قلبه وبدنه ولم يكن
على حسب مراده لقصور طاقته وهذا هو المثال الحق للعالم اذا انفتح للعامى
باب التاويلات والتصرف فى خلاف الظواهر فى معنى لتوام الاديب و
النحوى والمحدث والمفسر والفقيه والمتكلم بل كل عالم سوى المتجردين
لتعلم السباحة فى بحار المعرفة القاصرين اعمارهم عليه الصارفين وجوههم
عن الدنيا والشهوات المعرضين عن المال والجاه والخلق وسائر اللذات
المخلصين لله تعالى فى العلوم والاعمال العاملين بجميع حدود الشريعة و
ادابها فى القيام بالطاعات وترك المنكرات المفرغين قلوبهم بالجملة عن غير
الله تعالى لله المستحقرين الدنيا بل الاخرة والفردوس الاعلى فى جنب محبة
الله تعالى فهؤلاء هم أهل الغوص فى بحر المعرفة وهم مع ذلك كله على خطر
عظيم يهلك من العشرة تسعة الى ان يسعد واحد بالدر المكنون والسر
المخزون اولئك الذين سبقت لهم من الله الحسنى فهم الفائزون و
رياضة على بما يكون ... وهم وما يحسنون الوظيفة الثالث تاويل العارف مع
نفسه فى سر قلبه بينه وبين ربه وهو على ثلاثة أوجه فان الذى انقدح فى سره
ان المراد به من لفظ الاستواء والفوق مثلا اما أن يكون مقطوعا به او مشكوكا
فيها ومظنونا ظنا غالبا فان كان قطعيا فليعتقد وان كان مشكوكا فليجتنبه
ولا يحكمن على مراد الله تعالى ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم من كلامه
باحتمال يعارضه مثله من غير ترجيح بل الواجب على الشاك التوقف وان
كان مظنونا فاعلم ان للظن متعلقين احدهما ان المعنى الذى انقدح عنده هل

بل يكثر فيه الاشكال ولا يتميز محل التفاوت عن محل التعادل فنحن بين ان نحسم
الباب احتياطا اذ لاحاجة ولاضرورة الى التبديل وبين ان نفتح الباب و
نقتحم هجوم الخلق وورطة الخطر فليت شعري أي الامرين أحزم وأحوط والمنظو
فيه ذات الاله وصفاته وما عندي ان عاقلا متدينا لا يقر بان هذا الامر
مخطرفان الخطر في الصفات الالهية يجب اجتنابه كيف وقد أوجب الشرع
على الموطوءة العدة لبراءة الرحم وللعذر من خلط الانساب احتياطا لحكم
الولاية والوراثة وما يترتب على النسب فقال واجمع ذلك تجب العدة على العقيم
والايسة والصغيرة وعند العزل لان باطن الارحام انما يطلع عليه علام الغيوب
فانه يعلم ما في الارحام فلو فتحنا باب النظر الى التفصيل كنا راكبين متن الخطر
فايجاب العدة حيث لاعلوق اهون من ركوب هذا الخطر فكان ايجاب
العدة حكم شرعي فتحريم تبديل العربية حكم شرعي ثبت بالاجتهاد وترجيح
طريق الاول ويعلم ان الاحتياط في الخبر عن الله وعن صفاته وعما اراده با
لفاظ القرآن أهم وأولى من الاحتياط في العدة ومن كل ما احتاط به الفقهاء
من هذا القبيل اما التصريف الثاني التأويل وهو بيان معناه بعد ازالة
ظاهره وهذا اما أن يقع من العامي نفسه أو من العارف مع العامي أو من
العارف مع نفسه بينه وبين ربه فهذه ثلثة مواضع الاول تأويل العامي
على سبيل الاشتغال بنفسه وهو حرام يشبه خوض البحر المغرق ممن لايحسن
السباحة ولاشك في تحريم ذلك وبحر معرفة الله أبعد غورا واكثر معاطبا
ومهالك من بحر الماء لان هلاك هذا البحر لاحياة بعده وهلاك بحر
الدنيا لايزيل الا الحياة الفانية وذلك يزيل الحياة الابدية فشتان بين
الخطرين الموضع الثاني أن يكون ذلك من العالم مع العامي وهو ايضا
... الغواص في البحر مع نفسه عاجزا عن السباحة

فهل واقع وجودها هذا مما قد يتردد فيه الناظر وربما يظن وجود هذا
الظن في نفس المعنى والاول مثال الظن في كون المعنى مرادا باللفظ مع كون
المعنى في نفسه صحيحا جائزا وبينهما فرقان لكن كل واحد من الظنين اذا انقدح
في النفس وحاك في الصدر فلا يدخل تحت الاختيار دفعه عن النفس ولا
يمكنه ان لا يظن فان للظن اسبابا ضرورية لا يمكن دفعها ولا يكلف الله نفسا
الا وسعها لكن عليه وظيفتان احديهما ان لا يدع نفسه تطمئن اليه جزما من غير
شعور بامكان الغلط فيه ولا ينبغي ان يحكم مع نفسه بموجب ظنه حكما جازما
والثانية انه ان ذكره لم يطلق القول بان المراد بالاستواء كذا او المراد بالفوق كذا
لانه حكم بما لا يعلم وقد قال الله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم لكن يقول
انا اظن انه كذا فيكون صادقا في خبره عن نفسه وعن ضميره ولا يكون حكما
على صفة الله ولا على مراده بكلامه بل حكما على نفسه ونبأ عن ضميره فان قيل
هل يجوز ذكر هذا الظن مع كافة الخلق والتحدث به كما اشتمل عليه ضميره وكذلك
لو كان قاطعا فهل له ان يتحدث به قلنا تحدثه به انما يكون على اربعة اوجه فاما
ان يكون مع نفسه او مع من هو مثله في الاستبصار او مع من هو مستعد للاستبصار
بذكائه وفطنته وتجرده لطلب معرفة الله تعالى او مع العامي فان كان قاطعا
فله ان يحدث نفسه به ويحدث من هو مثله في الاستبصار او من هو متجرد لطلب
المعرفة مستعد لها خال عن الميل الى الدنيا والشهوات والتعصبات للمذاهب
وطلب المباهاة بالمعارف والتظاهر بذكرها مع العوام فمن اتصف بهذه
الصفات فلا بأس بالتحدث معه لان الفطن المتعطش الى المعرفة للمعرفة
لا لغرض آخر يحيك في صدره اشكال الظواهر وربما يلقيه في تأويلات
فاسدة لشدة شرهه على الفرار عن مقتضى الظواهر ومنع العلم اهله ظلم كبثه
الى غير اهله واما العامي فلا ينبغي ان يحدث به وفي معنى العامي كل من لا

هل هو جائز في حق الله تعالى ام هو محال والثانى أن يعلم قطعا جوازه لكن تردد في
في أنه هل هو مراد أم لا مثال الاول تاويل لفظ الفوق بالعلو المعنوى الذى
هو المراد بقولنا السلطان فوق الوزير فانا لا نشك فى ثبوت معناه لله تعالى
لكنا ربما نتردد فى ان لفظ الفوق فى قوله يخافون ربهم من فوقهم هل أريد
به العلو المعنوى ام اريد به معنى آخر يليق بجلال الله تعالى دون العلو بالمكان
الذى هو محال على ما ليس بجسم ولا هو صفة فى جسم ومثال الثانى تاويل
لفظ الاستواء على العرش بانه اريد به النسبة الخاصة التى للعرش ونسبته ان
الله تعالى يتصرف فى جميع العالم ويدبر الامر من السماء الى الارض بواسطة
العرش فانه لا يحدث فى العالم صورة ما لم يحدثه فى العرش كما لا يحدث النقاش
والكاتب صورة وكلمة على البياض ما لم يحدثه فى الدماغ بل لا يحدث البناء
صورة الابنية ما لم يحدث صورتها فى الدماغ فبواسطة الدماغ يدبر القلب
امر عالمه الذى هو بدنه فربما نتردد فى ان اثبات هذه النسبة للعرش الى الله تع
هل هو جائز اما لوجوبه فى نفسه أو لانه أجرى به سنته وعادته وان لم يكن ذلك في
محالا كما اجرى عادته فى حق قلب الانسان بان لا يمكنه التدبير الا بواسطة
الدماغ وان كان فى قدرة الله تعالى تمكينه منه دون الدماغ لو سبقت به
الارادة الازلية وحقت به الكلمة القديمة التى هى علمه فصار خلافه ممتنعا
لا لقصور فى ذات القدرة لكن لاستحالة ما يخالف الارادة القديمة والعلم
السابق الازلى ولذلك قال ولن تجد لسنة الله تبديلا وانما لا تتبدل لو
جوبها وانما وجوبها لصدورها عن ارادة ازلية واجبة ونتيجة الواجب واجبة
ونقيضها محال وان لم يكن محالا فى ذاته ولكنه محال لغيره وهو افضاؤه الى
ان ينقلب العلم الازلى جهلا ويمتنع نفوذ المشيئة الازلية فاذا اثبات هذه
النسبة لله تعالى مع العرش فى تدبير المملكة بواسطته ان كان جائزا عقلا

كآيات احوال الانبياء والاخبار المتواترة والامثال مما لا يتطرق اليه الخطأ
ورواه الثالث فقد قال قائلون لا يجوز ان يعتمد في هذا الباب الا ما ورد
في القرآن او تواتر عن الرسول صلى الله عليه وسلم وحيث افاد العلم فاما
اخبار الآحاد فلا يقبل فيه ولا يشتغل بها ولا يحتاج الى تبديل التاويل ولا
برواية عنها من يقتصر على الرواية لان ذلك حكم بالظنون واعتماد عليه
وما ذكره ليس ببعيد لكنه خالف لظاهر ما درج عليه السلف فانهم قبلوا
هذه الاخبار من العدول ورووها وصححوها والجواب من وجهين
احدهما ان التابعين كانوا قد عرفوا من ادلة الشرع انه لا يجوز اتهام العدل
بالكذب لا سيما في صفات الله تعالى فاذا روى الصديق رضي الله عنه
خبرا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا فرد روايته
تكذيب له ونسبة له الى الوضع او الى السهو فصدقوه وقالوا قال ابو بكر قال
رسول الله عليه السلام وقال انس قال رسول الله عليه السلام وكذا في التابعين
فالآن اذا ثبت عندهم بادلة الشرع انه لا سبيل الى اتهام العدل الثقة من
الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فمن اين يجب ان لا يتهم ظنون الآحاد
وان ينزل الظن منزلة نقل العدل مع ان بعض الظن اثم فاذا قال الشارع
ما اخبركم به العدل فصدقوه واقبلوه وانقلوه واظهروه فلا يلزم من
هذا ان يقال ما حدثكم به نفوسكم من ظنونكم فاقبلوه واظهروه وارووا
عن ظنونكم وضمائركم ونفوسكم ما قالته فليس هذا في معنى المنصوص
ولهذا اقول ما رواه غير العدل من هذا الجنس ينبغي ان يعرض عنه ولا
يروى ويحتاط فيه اكثر مما يحتاط في المواعظ والامثال وما يجري مجراه
والجواب الثاني ان تلك الاخبار رواها الصحابة لانهم سمعوه يقينا فما
نقلوا الا ما تيقنوه والتابعون قبلوه ورووه وما قالوا قال رسول الله

يتصف بالصفات المذكورة بل مثاله ما ذكرناه من الطعام الوضيع الاطعمة القوية التى لا يطيقها واما المظنون فتحدثه مع نفسه اضطرارا فان ما ينطوى عليه الذهن من ظن وشك وقطع لا يزال النفس يتحادث به ولا قدرة على الخلاص منه فلا منع منه ولا شك فى منع التحدث به مع العوام بل هو اولى بالمنع من المقطوع اما تحدثه مع من هو فى مثله وجنسه فى المعرفة او مع المستعد له فقيه نظر فيحتمل ان يقال هو جائز ولا يزيد على ان يقول اظن كذا وهو صادق ويحتمل المنع لانه قادر على تركه وهو بذكره متصرف بالظن فى صفة الله تعالى او فى مراده من كلامه وفيه خطر واباحته تعرف بنص او اجماع او قياس على منصوص ولم يرد شىء من ذلك بل ورد قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم فان قيل يدل على الجواز ثلاثة امور الاول الدليل الذى دل على اباحة الصدق وهو صادق فانه ليس يخبر الا عن ظنه وهو ظان الثانى اقاويل المفسرين فى القران بالحدس والظن اذ كل ما قالوه غير مسموع من الرسول عليه السلام بل هو مستنبط بالاجتهاد ولذلك كثرت الاقاويل وتعارضت والثالث اجماع التابعين على نقل الاخبار المتشابهة التى نقلها آحاد الصحابة ولم تتواتر وما اشتمل عليه الصحيح الذى نقله العدل عن العدل فانهم جوزوا روايته ولا يحصل بقول العدل الا الظن والجواب عن الاول ان المباح صدق لا يخشى منه ضرر وبث هذه الظنون لا يخلو عن ضرر فقد يسمعه من يسكن اليه ويعتقده جزما فيحكم فى صفات الله تعالى بغير علم وهو خطر والنفوس نافرة عن اشكال الظواهر فاذا وجد مستروحا من المعنى ولو كان مظنونا سكن اليه واعتقده جزما وربما يكون غلطا فيكون قد اعتقد فى صفات الله تعالى بما هو الباطل او حكم عليه فى كلامه بما لم يرد به واما الثانى وهو اقاويل المفسرين بالظن فلا نسلم ذلك فيما هو من صفات الله تعالى كالاستواء والنزول وغيره بل انما ذلك فى الاحكام الفقهية او فى

وان علم انه يقصر عن ذكره وان ظن احد الامرين كان ظنه كالصدق

وكم من انسان لا تتحرك داعيته باطنا الى معرفة هذه المعاني

نفسه اشكال من ظواهرها فذكر التاويل معه مشوش وكم من انسان يك

في نفسه اشكال الظاهر حتى يكاد ان يسوء اعتقاده في الرسول صلى الله عليه وسلم

وينكر قوله الموهم فمثل هذا لو ذكر معه الاحتمال المظنون بل مجرد الاحتمال

الذي ينبو عنه اللفظ انتفع به ولا باس بذكره معه فانه دواء لدائه وان كان داء في حق

غيره ولكن لا ينبغي ان يذكر على رؤس المنابر لان ذلك يحرك الدواعي الساكنة

من اكثر المستمعين وقد كانوا عنه غافلين وعن هذه المشكلات ولذلك

زمان السلف الاول زمان سكون القلب بالغوا في الكف عن التاويل خيفة من

تحريك الدواعي وتشويش القلوب فمن خالفهم في ذلك الزمان فهو الذي

حرك الفتنة والقى هذه الشكوك في القلوب مع الاستغناء عنه فباء بالاثم

اما الآن وقد فشا ذلك في بعض البلاد فالعذر في اظهار شيء من ذلك

رجاء لاماطة الاوهام الباطلة عن القلوب اظهر واللوم عن قائله اقل فان

قيل فقد فرقتم بين التاويل المقطوع والمظنون فما الفيصل القاطع بين

التاويل قلنا بامرين احدهما ان يكون المعنى مقطوعا ثبوته لله تعالى كفوقية

المرتبة والثاني ان لا يكون اللفظ الا محتملا لامرين وقد بطل احدهما و

تعين الثاني مثاله قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده فانه اذا ظهر في عرف

اللسان ان الفوق لا يحتمل الا فوقية المكان او فوقية الرتبة وقد بطل فوقية المكان

لمعرفة التقديس لم يبق الا فوقية الرتبة كما يقال السيد فوق العبد والزوج

فوق الزوجة والسلطان فوق الوزير فالله فوق عباده بهذا المعنى وهذا

كالمقطوع به في لفظ الفوق وانه لا يستعمل في لسان العرب الا في هذين

المعنيين اما لفظ الاستواء الى السماء وعلى العرش ربما لا ينحصر مفهومه

السلام [illegible] ان نقول قال فلان قال رسول الله عليه السلام كذا وكانوا صادقين فيما نقلوه من روايته لاشتمال كل حديث على فوائد سوى اللفظ الموهم عند العامي معنى حقيقياً يفهمه منه لبس فلذلك ثم ليس فيه خفر مثاله رواية الصحابي عن رسول الله عليه السلام قوله ينزل الله تعالى كل ليلة الى السماء الدنيا فيقول هل من داع فاستجيب له وهل من مستغفر فاغفر له الحديث فهذا الحديث سيق لنهاية الترغيب في قيام الليل وله تأثير عظيم في تحريك الدواعي للتهجد الذي هو افضل العبادات فلو ترك هذا الحديث بطلت هذه الفائدة العظيمة ولا سبيل الى اهمالها وليس فيه الا ايهام لفظ النزول عند الصبي والعامي الجاري مجرى الصبي وما اهون على البصير ان يغرس في قلب العامي التنزيه والتقديس عن صورة النزول بان يقول له ان كان نزوله الى السماء الدنيا ليسمعنا نداءه وقوله فما اسمعنا فاي فائدة في نزوله ولقد كان يمكنه ان ينادينا كذلك وهو على العرش أو على السماء العليا فهذا القدر يعرف العامي ان ظاهر النزول باطل مثاله ان يريد من في المشرق اسماع شخص في المغرب فناداه فتقدم الى المغرب باقدام معدودة واخذ يناديه وهو يعلم انه لا يسمع فيكون نقله للاقدام عملاً باطلاً وفعلاً كفعل المجانين فكيف يستقر مثل هذا في قلب عاقل بل يفهم بهذا القدر كل عامي الى ان ينتفي صورة النزول وكيف وقد علم استحالة الجسمية عليه واستحالة الانتقال على غير الاجسام كاستحالة النزول من غير انتقال فاذن الفائدة في نقل هذه الاخبار عظيمة والضرر يسير فاني يساوي هذا حكاية الظنون المنقدحة في الانفس فهذه [illegible] بجانب طرق الاستبعاد في ابانة ذكر التأويل الظنون والجمع [illegible] ذكر وجه ثالث وهو ان ينظر الى قرائن حال السائل والمستمع فان علم انه ينتفع بذكره

السامعين معاني صحيحة فإذا ذكرت مجموعة نحو مثال خلق الإنسان صار تواليه
المتفرقات في السمع دفعة واحدة قرينة عظيمة في تأكيد الظاهر وإيهام التشبيه
الإشكال في أن الرسول عليه السلام لم نطق بما يوهم خلاف الحق أعظم في النفس
وأوقع بل الكلمة الواحدة يتطرق إليها الاحتمال فإذا اتصل بها ثانية وثالثة ورابعة من
جنس واحد صار متواليا يضعف الاحتمال بالإضافة إلى الجملة ولذلك يحصل من
الظن بقول المخبرين وثلاثة ما لا يحصل بقول الواحد بل يحصل من العلم القطعي
بخبر التواتر ما لا يحصل بالآحاد ويحصل من العلم القطعي باجتماع القرائن ما
لا يحصل بالآحاد وكل ذلك نتيجة الاجتماع إذ يتطرق الاحتمال إلى قول كل واحد
وإلى كل واحدة من القرائن فإذا انقطع الاحتمال أو ضعف فلذلك لا يجوز
جمع المتفرقات التصرف السادس التفريق بين المجتمعات فكما لا يجمع بين
متفرقة فلا يفرق بين مجتمع فإن كل كلمة سابقة على كلمة أو لاحقة لها مؤثرة
في تفهيم معناها مرجحة لاحتمال بعيد عن الأفهام فإذا فرقت وفصلت
سقطت دلالتها مثاله قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده لا تسلط على أن
يقول القائل هو فوق لأنه إذا ذكر القاهر قبل الفوق ظهر أن المراد بالفوقية علو الرتبة التي
للقاهر مع المقهور وهي فوقية الرتبة ولفظ القاهر يدل عليه بل لا يجوز أن
يقول وهو القاهر فوق غيره بل ينبغي أن يقول فوق عباده لأن ذكر العبودية
في وصف من الله فوقه يؤكد احتمال فوقية السيادة إذ يحسن أن يقال السيد فوق
عبده ولا يحسن أن يقال زيد فوق عمرو قبل أن يتبين تفاوتهما في معنى السيادة والعبودية أو غلبة القهر ونفوذ
الأمر بالسلطنة أو بالأبوة أو بالزوجية فهذا وأمثاله مما يغفل عنه العلماء فضلا
عن العوام فكيف يسلط العوام في مثل ذلك على التصرف بالجمع والتفريق و
التأويل والتفسير وأنواع التغيير ولأجل هذه الدقائق بالغ السلف في الجمود
والاقتصار على موارد التوقيف كما ورد على الوجه الذي ورد وباللفظ الذي

في اللغة هذا الانحصار وإذا تردد بين ثلاثة معان معنيان جائزان على الله
تعالى ومعنى واحد هو الباطل فتنزيله على أحد المعنيين الجائزين ان يكون
بالظن وبالاحتمال المجرد وهذا تمام النظر في الكف عن التأويل التصرف
الثالث الذي يجب الامساك عنه التصريف ومعناه أنه اذا ورد قوله تعالى
استوى على العرش فلا ينبغي أن يقال مستو ويستوي لان المعنى يجوز أن يختلف
لان دلالة قوله هو مستو على العرش على الاستقرار أظهر من قوله رفع
السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش الآية بل هو كقوله خلق لكم
ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فان هذا يدل على استواء قد تقضى
اقبال على خلقه او على تدبير المملكة بواسطته ففي تغيير التصاريف ما يوقع
في تغيير الدلالات والاحتمالات فليجتنب التصريف كما يجتنب الزيادة فان
تحت التصريف الزيادة والنقصان التصرف الرابع الذي يجب الامساك
عنه القياس والتفريع مثل ان يرد لفظ اليد فلا يجوز اثبات الساعد والعضد
والكف مصيرا الى أن هذا من لوازم اليد واذا ورد الاصبع فلا يجوز ذكر
الانملة كما لا يجوز ذكر اللحم والعظم والعصب وان كانت اليد المشهورة
لا تنفك عنه وابعد من هذه الزيادة اثبات الرجل عند ورود اليد
اثبات الفم عند ورود العين او عند ورود الضحك واثبات الاذن
والعين عند ورود السمع والبصر وكل ذلك محال وكذب وزيادة
قد تجاسر بعض الحمقى من المشبهة الحشوية لذلك ذكرناه التصرف
الخامس لايجمع بين متفرق ولقد بعد عن التوفيق من صنف كتابا في جمع
هذه الاخبار خاصة ورسم في كل عضو بابا فقال باب في اثبات الرأس وباب في اليد
الى غير ذلك وسماه كتاب الصفات فان هذه كلمات متفرقة صدرت من رسول
الله عليه السلام في أوقات متفرقة متباعدة اعتمادا على قرائن مختلفة تفهم

بشرطين احدهما ان لا يزيد معهم على الادلة التي في القرآن والآخر ان لا يماري
فيه الا مراء ظاهرا ولا يتفكر فيه الا تفكرا سهلا جليا ولا يمعن في التفكر ولا يوغل
غاية الايغال في البحث ودليل هذه الامور الاربعة ما ذكر في القرآن اما
الدليل على معرفة الخالق فمثل قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض
ام من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من
الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله وقوله افلم ينظروا الى السماء فوقهم
كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها والقينا فيها
رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب و
نزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات
لها طلع نضيد وكقوله فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم
شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق
غلبا وفاكهة وابا وقوله الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا الى قوله
وجنات الفافا وامثال ذلك وهو قريب من خمسمائة آية جمعناها في كتاب
جواهر القرآن بها ينبغي ان يعرف الخلق جلال الله الخالق وعظمته لا
بقول المتكلمين ان الاعراض حادثة وان الجواهر لا تخلو عن الاعراض
الحادثة فهي حادثة ثم الحادث يفتقر الى محدث فان تلك التقسيمات و
المقدمات واثباتها بادلتها الرسمية يشوش قلوب العوام والدلالات
الظاهرة القريبة من الافهام على ما في القرآن تنفعهم وتسكن نفوسهم
وتغرس في قلوبهم الاعتقادات الجازمة واما الدليل على الوحدانية
فيقنع فيه بما في القرآن من قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فان
اجتماع المدبرين سبب فساد التدبير وبمثل قوله لو كان معه آلهة كما
يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا وقوله تعالى ما اتخذ الله

ورد والحق ما قالوه والصواب ما رأوه فأهم المواضع بالاحتياط ما هو تصرف في
في ذات الله وصفاته وأحق المواضع بإلجام اللسان وتقييده عن الجريان
فيما يعظم فيه الخطر وأي خطر أعظم من الكفر الوظيفة السادسة في الكف
بعد الامساك واعني بالكف كف الباطن عن التفكر في هذه الأمور فذلك
واجب عليه كما وجب عليه امساك اللسان عن السؤال والتصرف وهذا
أثقل الوظائف وأشدها وهو واجب كما وجب على العاجز الزمن ان لا
يخوض غمرة البحار وان كان يتقاضاه طبعه ان يغوص في البحار ويخرج
دررها وجواهرها ولكن لا ينبغي ان يغره نفاسة جواهرها مع عجزه عن نيلها
بل ينبغي ان ينظر الى عجزه وكثرة معاطبها ومهالكها ويتفكر انه ان فاته نفائس
البحار فما فاته الا زيادات وتوسعات في المعيشة وهو مستغن عنها فاما
غرق او التقمه تمساح فاته اصل الحياة فان قلت ان لم ينصرف قلبه عن التفكر
والتشوف الى البحث فما طريقه قلت طريقه ان يشغل نفسه بعبادة الله و
بالصلاة وقراءة القرآن والذكر فان لم يقدر فبعلم آخر لا يناسب هذا الجنس
من لغة أو نحو أو خط او طب أو فقه فان لم يمكنه فبحرفة أو صناعة ولو الحراثة
والحياكة فان لم يقدر فبلعب ولهو وكل ذلك خير له من الخوض في هذا البحر
البعيد غوره وعمقه العظيم خطره وضرره بل لو اشتغل العامي بالمعاصي البدنية
ربما كان اسلم له من ان يخوض في البحث عن معرفة الله تعالى فان ذلك غايته
الفسق وهذا عاقبته الشرك وان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء فان قلت العامي اذا لم تسكن نفسه الى الاعتقادات الدينية الا
بالدليل فهل يجوز ان يذكر له الدليل فان جوزت ذلك فقد رخصت له
في الفكر والنظر وأي فرق بينه وبين غيره الجواب اني اجوز له ان يسمع الدليل
على معرفة الخالق ووحدانيته وعلى صدق الرسول وعلى اليوم الآخر ولكن

الفكر وجعل في النظر من الحلى ان من قدر [illegible]
كما قال سبحانه وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه [illegible] لا
يتكلم [illegible] بل [illegible] فكيف [illegible] في كل العالم [illegible]
تعالى الا يعلم من خلق [illegible] الادلة تجري للعوام مجرى الماء الذي [illegible]
[illegible] الملكوت [illegible]
[illegible] فهو بدعة [illegible] اكثر المتفق [illegible]
[illegible] على قصر الخلق [illegible]
[illegible]
[illegible] بين الله [illegible]
[illegible] في المباحثة [illegible] المتكلمين [illegible]
[illegible] لا يحجزهم [illegible] ذلك [illegible]
[illegible] في تحرير الادلة [illegible]
[illegible]
المتأخرين وعلم [illegible]
[illegible] البدع [illegible]
احدهما انهم في مسائل الفرائض اقتصروا على بيان حكم الوفاة بل
وضعوا المسائل وفرضوا فيها ما تنقضي الدهور ولا يقع مثله الا نادرا
[illegible] الممكن وقوعه فصنفوا علمه ورتبوه قبل وقوعها [illegible]
الخوض فيه وفي بيان حكم الواقعة قبل وقوعها [illegible]
ونزعتها عن النفوس اهم فلم يخلو [illegible] صناعة لانهم عرفوا ان
الاستقلال بالخوض فيه اكثر من الانتفاع [illegible] كانوا قد [illegible]
[illegible] وفهموا تحريم الخوض فيه [illegible] الثاني انهم [illegible]

ولله ما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض
وأما صدق الرسول فيستدل عليه بقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس و
الجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض
ظهيرا وبقوله فاتوا بسورة من مثله وقوله قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات
وامثاله واما اليوم الآخر فيستدل عليه بقوله قال من يحيي العظام وهي رميم
قل يحييها الذي انشأها أول مرة وبقوله ايحسب الانسان ان يترك سدى
الم يك نطفة من مني يمنى الى قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى
وبقوله يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب
الى قوله فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى
وامثال ذلك كثير في القرآن فلا ينبغي ان يزاد عليه فان قيل فهذه الادلة
التي حررها المتكلمون وقرروا وجه دلالتها فما بالهم يمنعون عن تقرير
هذه الادلة ولا يمنعون عنها وكل ذلك مدرك بنظر العقل وتأمله فان فتح
للعامي باب النظر فليفتح مطلقا او ليسد عليه طريق النظر رأسا وليكلف
التقليد من غير دليل الجواب ان الادلة تنقسم الى ما يحتاج فيه الى تفكر
وتدقيق خارج عن طاقة العامي وقدرته والى ما هو جلي سابق الى الا
فهام بادئ الرأي من اول النظر مما يدركه كافة الناس بسهولة فهذا لا خطر
فيه وما يفتقر الى التدقيق فليس على حد وسعه فادلة القرآن مثل الغذاء
ينتفع به كل انسان وادلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس ويستضر
به الاكثرون بل أدلة القرآن كالماء الذي ينتفع به الصبي الرضيع والرجل القوي
وسائر الادلة كالاطعمة التي ينتفع بها الاقوياء مرة ويمرضون بها أخرى ولا
ينتفع بها الصبيان اصلا ولهذا قلنا ادلة القرآن أيضا ينبغي ان يصغى اليها
اصغاءه الى كلام جلي ولا يماري فيه الا مراء ظاهرا ولا يكلف نفسه تدقيق

سبيلهم لا محالة أولى الوظيفة السابعة التسليم لأهل المعرفة وبيان أنه يجب
على العامي أن يعتقد أن ما انطوى عنه من معاني هذه الظواهر وأسرارها ليس
منطويا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصديق وعن أكابر الصحابة
وعن الأولياء والعلماء الراسخين وأنه إنما انطوى عنه لعجزه وقصور معرفته
فلا ينبغي أن يقيس بنفسه غيره فلا تقاس الملائكة بالحدادين وليس يخلو
عن ضياع التجار بل ومن أن يخلو عن خزائن الملوك فقد خلق الناس أشتاتا
متفاوتين كمعادن الذهب والفضة وسائر الجواهر فانظر إلى تفاوتها وتباعد
ما بينهما صورة ولونا وخاصية ونفاسة فكذلك القلوب معادن لسائر جواهر
المعارف فبعضها معادن النبوة والولاية والعلم ومعرفة الله تعالى وبعضها
معادن للشهوات البهيمية والأخلاق الشيطانية بل ترى الناس يتفاوتون في
الحرف والصناعات فقد يقدر الواحد بخفة يده وحذاقة صناعته على أنواع
لا يطمع الآخر في بلوغ أوائله فضلا عن غايته ولو اشتغل بتعلمه جميع عمره فكذلك
معرفة الله تعالى بل كما ينقسم الناس إلى الجبان العاجز لا يطيق النظر إلى شط
البحر وإن كان على سطح الأرض وإلى من يطيق ذلك ولكن لا يمكنه الخوض في أطراف
وإن كان قائما على رجليه وإلى من يطيق ذلك لكن لا يطيق رفع رجليه عن
الأرض اعتمادا على السباحة وإلى من يطيق السباحة إلى حد قريب من الشط لكن
لا يطيق خوض البحر اللجة ومواضع الغرق المخطرة وإلى من يطيق ذلك لكن لا
يطيق الغوص في عمق البحر إلى مستقره الذي فيه نفائسه وجواهره فهكذا
مثال بحر المعرفة وتفاوت الناس فيه بتفاوت درجات القدرة من غير فرق

فإن قيل فالعارفون محيطون بكمال معرفة الله سبحانه حتى لا يبقى عنهم
شيء قلنا هيهات فقد بينا بالبرهان القطعي في كتاب المقصد الأقصى في معاني
أسماء الله الحسنى أنه لا يعرف الله كنه معرفته إلا الله الخالق وأن

انما بين الى محاجة اليهود والنصارى في اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
والى اثبات البعث مع منكريه ثم ما زادوا في هذه القواعد التي هي امهات العقائد
على أدلة القرآن فمن اقنعه ذلك قبلوه ومن لم يقنع قتلوه وعدلوا الى السيف
والسنان بعد افشاء ادلة القرآن وما ركبوا ظهر اللجاج في وضع المقاييس
العقلية وترتيب المقدمات وتحرير طريق المجادلة وتذليل طرقها ومنهاجها
كل ذلك لعلمهم بان ذلك مثار الفتن ومنبع التشويش ومن لا يقنعه أدلة
القرآن لا يقمعه الا السيف والسنان فما بعد بيان الله بيان على اننا ننصف و
لا ننكر ان حاجة المعالجة تزيد بزيادة المرض وان لطول الزمان وبعد العهد
عن عصر النبوة تأثيرا في اثارة الاشكالات وان للعلاج طريقين احدهما
الخوض في البيان والبرهان الى ان يصلح واحد ويفسد به اثنان فان صلاحه
بالاضافة الى الاكياس وفساده بالاضافة الى البله وما أقل الاكياس وما اكثر
البله والعناية بالاكثرين أولى والطريق الثاني طريق السلف في الكف و
السكوت والعدول الى الدرة والسوط والسيف وذلك مما يقنع الاكثرين
وان كان لا يقنع الاقلين وآية اقناعه ان من يسترق من الكفار من العبيد
والاماء تراهم يسلمون تحت ظلال السيوف ثم يستمرون عليه حتى يصير
طوعا ما كان في البداية كرها ويصير اعتقادا جزما ما كان في الابتداء مراء
وشكا وذلك بمشاهدة اهل الدين والمؤانسة بهم وسماع كلام الله ومواعظ
الصالحين واخبارهم وقرائن من هذا الجنس تناسب طباعهم مناسبة أشد
من مناسبة الجدل والدليل فاذا كان كل واحد من العلاجين يناسب
قوما دون قوم وجب ترجيح الانفع في الاكثر فالمعاصرون للطبيب الاول
المؤيد بروح القدس الكاشف من الحضرة الالهية الموحى اليه من الخبير
البصير باسرار عباده وبواطنهم أعرف بالاصوب والاصلح قطعا فسلوك

البرهان على ان الحق مذهب السلف وعليه برهانان عقلي وسمعي اما العقلي فاثنان كلي
وتفصيلي اما البرهان الكلي على ان الحق مذهب السلف فينكشف بتسليم اربعة
أصول هي مسلمة عند كل عاقل الاول أن أعرف الخلق بصلاح احوال العباد
بالاضافة الى حسن المعاد هو النبي صلى الله عليه وسلم فان ما ينتفع به في الآخرة
أو يضر لا سبيل الى معرفته بالتجربة كما عرف الطب اذ لا مجال للعلوم التجريبية
الا فيما يشاهد على سبيل التكرر ومن الذي رجع من ذلك العالم فادرك
بالمشاهدة ما نفع وضر واخبر عنه ولا يدرك بقياس العقل فان العقول قاصرة
عن ذلك والعقلاء باجمعهم معترفون بان العقل لا يهتدي الى ما بعد الموت
ولا يرشد الى وجه ضرر المعاصي ونفع الطاعات لا سيما على سبيل التفصيل و
التحديد كما وردت به الشرائع بل اقروا بجملتهم ان ذلك لا يدرك الا بنور النبوة
وهي قوة وراء قوة العقل يدرك بها من أمر الغيب في الماضي والمستقبل أمور
لا على طريق التعرف بالاسباب العقلية وهذا مما اتفق عليه الاوائل من الحكماء
فضلا عن الاولياء والعلماء الراسخين القاصرين نظرهم على الاقتباس من
حضرة النبوة المقرين بقصور كل قوة سوى هذه القوة الاصل الثاني انه صلى
الله عليه وسلم افاض الى الخلق ما اوحي اليه من صلاح العباد في معادهم و
معاشهم وانه ما كتم شيئا من الوحي واخفاه وطواه عن الخلق فانه لم يبعث
الا لذلك ولذلك كان رحمة للعالمين فلم يكن متهما فيه وعرف ذلك
ضرورة بما نقل من قرائن احواله في حرصه على اصلاح الخلق وشغفه بارشادهم
الى صلاح معاشهم ومعادهم فما ترك شيئا مما يقرب الخلق الى الجنة ورضاء
الخالق الا دلهم عليه وأمرهم به وحثهم عليه ولا شيئا مما يقربهم الى النار والى
سخط الخالق الا حذرهم منه ونهاهم عنه وذلك في العلم والعمل جميعا
الاصل الثالث ان اعرف الناس بمعاني كلامه واحراهم بالوقوف على

التعمق صعب فهم بحر وعلمهم فاذا اضيف ذلك الى علم الله سبحانه فما أوتوا من
العلم الا قليلا لكن ينبغي أن يعلم أن الحضرة الالٰهية محيطة بكل ما في الوجود اذ ليس
في الوجود الا الله وأفعاله فالكل من الحضرة الالٰهية كما ان جميع ارباب الولايات في
المعسكر حتى الحراس هم من المعسكر فهم من جملة الحضرة السلطانية وأنت لا تفهم
الحضرة الالٰهية الا بالتمثيل الى الحضرة السلطانية فاعلم ان كل ما في الوجود داخل
في الحضرة الالٰهية ولكن كما ان السلطان له في مملكته قصر خاص وفي فناء قصره
ميدان واسع ولذلك الميدان عتبة يجتمع عليها جميع الرعايا ولا يمكنون من مجاوزة
العتبة ولا الى طرف الميدان ثم يؤذن لخواص المملكة في مجاوزة العتبة ودخول
الميدان والجلوس فيه على تفاوت في القرب والبعد بحسب مناصبهم وربما لم يطرق
الى القصر الخاص الا الوزير وحده ثم ان الملك يطلع الوزير من اسرار ملكه على ما
يريد ويستأثر عنده بامور لا يطلعه عليها فكذلك فافهم على هذا المثال تفاوت
الخلق في القرب والبعد من الحضرة الالٰهية فالعتبة التي هي آخر الميدان موقف
جميع العوام ومردهم لا سبيل لهم الى مجاوزتها فان جاوزوا حدهم استوجبوا
الزجر والتنكيل واما العارفون فقد جاوزوا العتبة وانسرحوا في الميدان ولهم
فيه جولات على حد وهم مختلفة في القرب والبعد بتفاوت ما بينهم كثير وان
اشتركوا في مجاوزة العتبة وتقدموا على العوام المتشبثين واما حظيرة القدس
في صدر الميدان فهي أعلى من ان يطأها اقدام العارفين وارفع من ان تمتد اليها
ابصار الناظرين بل لا يلمح ذلك الجناب رفيع صغير وكبير الا غض من الدهشة
والحيرة طرفه فانقلب اليه البصر خاسئا وهو حسير فهذا ما يجب على العوام ان
يؤمن به جملة وان لم يحط به تفصيلا فهذه هي الوظائف السبع الواجبة على عوام
الخلق في هذه الاخبار التي سألت عنها وهي حقيقة مذهب السلف واما الآن
فنشتغل باقامة الدليل على ان الحق هو مذهب السلف **الباب الثاني** في اقامة

في ظواهر الاخبار المتشابهة وقد ذكرنا برهان كل وظيفة منها فهو برهان كونه
حقا فمن يخالف ليت شعري أيخالف في قولنا الاول انه يجب على العامي التقديس
للحق عن التشبيه ومشابهة الاجسام أو في قولنا الثاني انه يجب عليه التصديق
والايمان بما قاله الرسول عليه السلام بالمعنى الذي اراده أو في قولنا الثالث انه
يجب عليه الاعتراف بالعجز عن درك حقيقة تلك المعاني أو في قولنا الرابع انه
يجب عليه السكوت عن السؤال والخوض فيما هو وراء طاقته او في قولنا الخامس
انه يجب عليه امساك اللسان عن تغيير الظواهر بالزيادة والنقصان والجمع
والتفريق أو في قولنا السادس انه يجب عليه كف القلب عن التذكر فيه والفكر
مع عجزه عنه وقد قيل لهم تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق او في قولنا
السابع انه يجب عليه التسليم لاهل المعرفة من الانبياء والاولياء والعلماء
الراسخين فهذه امور بيانها برهانها ولا يقدر أحد على جحدها وانكارها
ان كان من اهل التمييز فضلا عن العلماء والعقلاء فهذه هي البراهين
العقلية النمط الثاني البرهان السمعي على ذلك وطريقه ان تقول الدليل
على ان الحق مذهب السلف ان نقيضه بدعة والبدعة مذمومة وضلالة
والخوض من جهة العوام في التأويل والخوض بهم فيه من جهة العلماء
بدعة مذمومة وكان نقيضه وهو الكف عن ذلك سنة محمودة فههنا
ثلاثة اصول احدها ان البحث والتفتيش والسؤال عن هذه الامور
بدعة والثاني ان كل بدعة فهي مذمومة والثالث ان البدعة اذا كانت
مذمومة كان نقيضها وهي السنة القديمة محمودة ولا يمكن النزاع في شيء
من هذه الاصول فاذا سلم ذلك ينتج ان الحق مذهب السلف فان قيل
فبم تنكرون على من يمنع كون البدعة مذمومة أو يمنع كون البحث والتفتيش
بدعة فينازع في هذين وان لم ينازع في الثالث لظهوره فنقول الدليل على

كنهه وذلك اسراره الذين شاهدوا الوحي والتنزيل وعاصروه وصاحبوه بل لا
زموه اناء الليل والنهار مشمرين لفهم معاني كلامه وتلقيه بالقبول للعمل به
أولا وللنقل الى من بعدهم ثانيا وللتقرب الى الله سبحانه وتعالى بسماعه وفهمه
وحفظه ونشره وهم الذين حثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السماع و
الفهم والحفظ والاداء فقال نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما
سمعها الحديث فليت شعري أيتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باخفائه و
كتمانه عنهم حاشا منصب النبوة عن ذلك أو يتهم اولئك الاكابر في فهم كلامه
وادراك مقاصده أو يتهمون في اخفائه واسراره بعد الفهم أو يتهمون في
معاندته من حيث العمل ومخالفته على سبيل المكابرة مع الاعتراف بتفهيمه و
تكليفه فهذه أمور لا يتسع لتقديرها عاقل الاصل الرابع انهم في طول
عصرهم الى آخر اعمارهم ما دعوا الخلق الى البحث والتفتيش والتفسير والتأويل
والتعرض لمثل هذه الامور بل بالغوا في زجر من خاض فيه وسأل عنه و
تكلم به على ما سنحكيه عنهم فلو كان ذلك من الدين أو كان من مدارك الاحكام
وعلم الدين لاقبلوا عليه ليلا ونهارا ودعوا اليه أولادهم وأهليهم وشمروا عن
ساق الجد في تأسيس اصوله وشرح قوانينه تشميرا ابلغ من تشميرهم في تمهيد
قواعد الفرائض والمواريث فنعلم بالقطع من هذه الاصول ان الحق ما
قالوه والصواب ما رأوه لا سيما وقد اثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقال صلى الله عليه وسلم
ستفترق امتي نيفا وسبعين فرقة الناجية منهم واحدة فقيل من هم فقال
أهل السنة والجماعة فقيل وما اهل السنة والجماعة فقال ما انا عليه الآن و
أصحابي البرهان الثاني وهو التفصيلي فنقول ادعينا ان الحق هو مذهب
السلف وان مذهب السلف هو توظيف الوظائف السبع على عوام الخلق

ما دليل الأصل الثاني وهو أن هذه بدعة فإن البدعة ما [illegible]
فلو قال الشافعي رضي الله عنه الجماعة في التراويح بدعة وهي بدعة حسنة
ويخوض الفقهاء في دقائق الفقه ومناظراتهم فيها أصح ما ابتدعوه من تفريع
وتفريعات وضع وتركيب وجوه من فنون مجادلات والزامات كل ذلك مبتدع لم يؤثر
عن الصحابة شيء من ذلك فلم لا يكون ذلك البدعة المذمومة ما رفعت سنة أثر
ولا مستند لها إلا أنه لم تنقل لكنه حدثت بما أخذه فيه الأولون إما
لاشتغالهم بغيره فهو أهم منه وإما لسلامة القلوب في أهل العصر الأول عن الشكوك
والترددات ما استغنوا عن ذلك وخاض فيه من بعدهم لما مست الحاجة
ملابسة الأهواء من البدع الى رابطة الإيمان أجيب [illegible]
ذكرتموه من أن البدعة المذمومة ما رفعت سنة قديمة هو الحق وهذا
ليس ترفعت سنة قديمة إذ كان سنة الصحابة المنع من الخوض فيه وزجر من
سأل عنه والمبالغة في تأديبه ومنعهم فتح باب السؤال عن هذه المسائل
الخوض بالعوام في غمرة هذه المشكلات على خلاف ما تواترت به قد صح
ذلك عن الصحابة بتواتر النقل عند التابعين من نقلة الآثار وسير السلف
صحة لا يتطرق إليها ريب وشك كما تواتر خوضهم في مسائل الفرائض ومناظراتهم
في الوقائع الفقهية وحصل العلم به يقينا بأخبار آحاد لا يتطرق الشك إليه
كما نقل عن عمر رضي الله عنه أنه سأله سائل عن آيتين متشابهتين فعلاه
بالدرة وكما روي أنه سأله سائل عن القرآن أهو مخلوق أم لا فتعجب عمر من
قوله فأخذ بيده حتى جاء به إلى علي رضي الله عنه فقال يا أبا الحسن أتسمع ما
يقول هذا الرجل قال وما يقول يا أمير المؤمنين فقال الرجل سألته عن
القرآن أمخلوق هو أم لا فوجم لها رضي الله عنه وطأطأ رأسه ثم رفع
رأسه وقال سيكون لهذا الكلام نبأ في آخر الزمان ولو وليت من أمره

اثبات الاصل الاول من كون البدعة مذمومة اتفاق الامة قاطبة على ذم
البدعة وزجر المبتدع وتعيير من يعرف بالبدعة وهذا امر معلوم على الضرورة
من الشرع وذلك غير واقع في محل الظن فان من رسول الله عليه السلام ابدية
علم بالتواتر بمجموع اخبار يفيد العلم القطعي جملتها وان كان الاحتمال يتطرق
الى آحادها وذلك كعلمنا بشجاعة علي رضي الله عنه وسخاوة حاتم وحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها وما يجري مجراه فانه علم
قطعا باخبار آحاد بلغت في الكثرة مبلغا لا يحتمل كذب ناقليها وان لم تكن
آحاد تلك الاخبار متواترة وذلك مثل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي
عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل
بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وقال صلى الله عليه وسلم اتبعوا ولا تبتدعوا
وانما اهلك من كان قبلكم لما ابتدعوا في دينهم وتركوا سنن انبيائهم وقالوا
بآرائهم فضلوا واضلوا وقال عليه السلام اذا مات صاحب بدعة فقد فتح
في الاسلام فتح وقال عليه السلام من مشى الى صاحب بدعة ليوقره فقد
اعان على هدم الاسلام وقال عليه السلام من اعرض عن صاحب بدعة
بغضا له في الله ملأ الله قلبه امنا وايمانا ومن انتهر صاحب بدعة رفع الله
له مائة درجة ومن سلم على صاحب بدعة او لقيه بالبشر او استقبله بما يسره
فقد استخف بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله لا يقبل لصاحب بدعة صوما ولا صلاة ولا زكاة ولا حجا ولا عمرة ولا
جهادا ولا صرفا ولا عدلا ويخرج من الاسلام كما يخرج السهم من الرمية
او كما تخرج الشعرة من العجين فهذه وامثاله مما يجاوز حد الحصر افاد علما
ضروريا بكون البدعة مذمومة فان قيل سلمنا ان البدعة مذمومة ولكن

فهي سنة السلف ولقد كانوا قد امروا [illegible] في لسان الائمة [illegible]
كالقتل [illegible] وصرات الادب [illegible] [illegible]
ان ابدعوا الانا [illegible] وعبارات للتذبب على معانيه [illegible] ج في الخبا
بل هي [illegible] ان يستعيرها ويستعملها وان كانت متصدرة [illegible] الملك [illegible] من النظر
في الاخبار [illegible] والازامر [illegible] الاستدلال [illegible] على خلاف
السنة المأثورة

الباب الثالث في فصول متفرقة وابواب نافعة في هذا الفن

فصل ان قال قائل لم [illegible] رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اطلاق هذه الالفاظ الموهمة مع الاستغنا
عنها أكان لا يدري أنه يوهم التشبيه ويغلط الخلق ويسوقهم الى اعتقاد
الباطل في ذات الله تعالى وصفاته وحاشا منصب النبوة ان يخفى عليه ذلك
او عرف لكن لم يبال بجهل الجهال وضلالة الضلال وهذا ابعد واشنع
لانه بعث شارحا لا مبهما ملبسا ملغزا وهذا اشكال له وقع في النفوس حتى
جر بعض الخلق الى سوء الاعتقاد فيه فقالوا لو كان نبيا لعرف الله ولو عرف
لما وصفه بما يستحيل عليه في ذاته وصفاته ومالت طائفة اخرى الى اتباع
الظواهر وقالوا لو لم يكن حقا لما ذكره كذلك مطلقا ولعدل عنه الى غيره
او قرنها بما يزيل الايهام عنها فما سبيل حل هذا الاشكال العظيم الجواب
ان هذا الاشكال منحل عند اهل البصيرة وبيانه ان هذه الكلمات ما جمعها
رسول الله دفعة واحدة وما ذكرها وانما جمعها المشبهة وقد بينا ان لجمعها
من التأثير في الايهام والتلبيس على الافهام ما ليس لآحادها المفرقة وانما
هي كلمات لهج بها في جميع عمره في اوقات متباعدة واذا اقتصر منها على ما
في القرآن والاخبار المتواترة رجعت الى كلمات يسيرة معدودة وان اضيف
اليها الاخبار الصحيحة فهي ايضا قليلة وانما كثرت الروايات الشاذة الضعيفة

ما وليت لضربت عنقه وقد روى احمد بن حنبل هذا الحديث عن ابي هريرة
فهذا اقول في بعض عمر وابي هريرة رضي الله عنهم ولم يقولا له ولا احد
ممن بلغه ذلك من الصحابة ولا عرف علي رضي الله عنه في نفسه ان هذا سؤال
عن مسألة دينية وتعرف لحكم كلام الله تعالى وطلب معرفة لصفة القرآن الذي
هو معجزة الله على صدق رسوله بل هو الدليل المعرف لاحكام التكليف
فلم يستوجب طالب المعرفة هذا التشديد فانظر الى فراسة علي واشرافه على
ان ذلك يفتح باب الفتنة وان ذلك سينتشر في آخر الزمان الذي هو موسم
الفتن ومظنتها بروايات رسول الله صلى الله عليه وسلم وانظر الى تشديده
وقوله ولو وليت لضربت عنقه فمثل اولئك السابقين الاولين الذين شاهدوا
الوحي والتنزيل واطلعوا على اسرار الدين وحقائقه وقد قال صلى الله عليه و
سلم في احدهما لو لم أبعث لبعث عمر وقال في الثاني انا مدينة العلم وعلي
بابها يزجرون السائل عن مثل هذا السؤال ثم ترى بعدهم من
المشغوفين بالكلام والجدل من يتصدى ويتوقع من احد منصبا ما ينبغي لمثله
احدهم ولا نصيب ان الحد ... السؤال والخوض في جوابها
وفتح هذا الباب ثم يتقلد ... انهما سطلان نفثهما
ما ابعد عن التحصيل وما اولى من ... قياس الملائكة بالحدادين
ومزج المجادلين على الائمة الراشدين والسلف فانا نعرف على
القطع ان هذه بدعة مخالفة لسنة السلف لا كخوض الفقهاء في الفروع
والتفاصيل فانما نقل عنهم من التوقف فيها بالنسبة لهم في الخوض و
أما ما ابدع من فنون المجادلات فهي بدعة مذمومة عند اهل النحو كما
ذكرنا وجه ذمها في كتاب قواعد العقائد من كتب الاحياء واما مناظرتهم
ان كان القصد منها التعاون على البحث عن مأخذ الشرع ومدارك الاحكام

وتعيين المراد من جملة ما يحتمله اللفظ ويليق بجلال الله تعالى **المثال الثاني** اذا
جرى لفظ الصورة في كلامه بين يدي الصبي أو العامي فقال صورة
هذه المسألة كذا وصورة الواقعة كذا ولقد صورت للمسألة صورة في
غاية الحسن فربما توهم الصبي والعامي الذي لا يفهم معنى المسألة أن
المسألة شيء له صورة وفي تلك الصورة أنف وفم وعين على ما عرف و
شوهد عندنا وأما من عرف حقيقة المسألة وانها عبارة عن علوم مرتبة ترتيبا
مخصوصا فلا يتصور ان يفهم عينا وانفا وفما كصورة الاجسام هيهات بل
يكفيه معرفته بان المسألة منزهة عن الجسمية وعوارضها فكذلك معرفته بنفي
الجسمية عن الله تعالى يكون قرينة في قلب كل مستمع مفهمة لمعنى
الصورة في قوله خلق الله آدم على صورته ويتعجب العارف بتقديسه عن الجسمية
ممن يتوهم لله تعالى الصورة الجسمية كما يتعجب ممن يتوهم للمسألة صورة
جسمانية **المثال الثالث** اذا قال القائل بين يدي الصبي بغداد في يد الخليفة
فربما يتوهم ان بغداد بين أصابعه وانه قد احتوى عليها براحته كما يحتوي على
حجره ودنانيره وكذلك كالعامي الذي لم يفهم المراد بلفظ بغداد اما من يعلم ان
بغداد عبارة عن بلدة كبيرة هل يتصور ان يخطر له ذلك أو يتوهمه وهل
يتصور ان يعترض على قائله ويقول له لم اذا قلت بغداد في يد الخليفة وهذا
يوهم خلاف الحق ويفضي الى الجهل حتى يعتقد ان بغداد بين أصابعه بل
يقال له يا سليم القلب هذا انما يوهم الجهل عند من لا يعرف حقيقة
بغداد اما من علم بالضرورة انه لا يراد بهذه اليد العضو المشتمل على
الكف والاصابع بل معنى آخر فلا يحتاج في فهم اليد الى قرينة سوى هذه المعرفة
فكذلك جميع الالفاظ الموهمة في الاخبار يكفي في فهم معانيها قرينة واحدة
وهي معرفة ان الله واحد ليس بجسم وليس من جنس الاجسام وظننا اما

التي لا يجوز الاستحيل عليها ثم ما تواتر منها ان صح نقلها عن العدول فهي
آحاد كلمات وما ذكر صلى الله عليه وسلم كلمة منها الا مع قرائن واشارات
يزول معها ايهام التشبيه وقد ادركها الحاضرون المشاهدون فاذا نقل
الالفاظ مجردة عن تلك القرائن ظهر الايهام وأعظم القرائن في زوال
الايهام المعرفة السابقة بتقديس الله تعالى عن قبول هذه الظواهر ومن سبقت
معرفته بذلك كانت تلك المعرفة ذخيرة له راسخة في نفسه مقارنة لكل ما
يسمعه فينمحق معه الايهام انمحاقا لا يشك فيه ويعرف هذا بامثلة
الاول انه صلى الله عليه وسلم سمى الكعبة بيت الله تعالى واطلاق هذا
يوهم عند الصبيان وعند من تقرب درجتهم منهم ان الكعبة وطنه ومثواه
لكن العوام الذين اعتقدوا انه في السماء وان استقراره على العرش
ينمحق في حقهم هذا الايهام على وجه لا يشكون فيه فلو قيل لهم ما الذي
دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اطلاق هذا اللفظ الموهم المخيل الى
السامع ان الكعبة مسكنه لبادروا باجمعهم وقالوا هذا انما يوهم في حق
الصبيان والحمقى اما من تكرر على سمعه ان الله مستقر على عرشه فلا يشك
عند سماع هذا اللفظ انه ليس المراد به ان البيت مسكنه ومأواه بل يعلم
على البديهة ان المراد بهذه الاضافة تشريف البيت أو معنى سواه غير ما
وضع له لفظ البيت المضاف الى ربه وساكنه أليس كان اعتقاده انه على العرش
قرينة أفادته علما قطعيا بانه ما اريد بكون الكعبة بيته انه مأواه وان هذا
انما يوهم في حق من لم يسبق الى هذه العقيدة فكذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم خاطب بهذه الالفاظ جماعة سبقوا الى علم التقديس و
نفي التشبيه وانه منزه عن الجسمية وعوارضها وكان ذلك قرينة قطعية
مزيلة للايهام لا يبقى معه شك وان جاز ان يبقى لبعضهم تردد في تأويله

وجهت الى القطع بهذه الامثلة ان هذه الالفاظ صريحة [illegible]
عن أوضاعها الصريحة بمجرد [illegible] ورجعت لك [illegible] المغش [illegible]
ومفترية وكذلك هذه الظواهر التوهم انقلبت عن الايهام [illegible]
القرائن الكثيرة الى بعضها على المجاز والراحات [illegible]
بتباعد الاضداد وان من عمل [illegible] كان [illegible]
[illegible] الحميد سافلا او عاليا [illegible]
[illegible] مصاعد وما كان [illegible] على الشيخ [illegible]
[illegible] في النص [illegible] ليس كمثله [illegible]
[illegible] وبالفاظ كثيرة لا احصر لها [illegible] الا [illegible]
[illegible] فلذلك [illegible]
[illegible] وكان فيها الظواهر الالهية [illegible]
[illegible] واذا اطلق على غير [illegible]
[illegible] على الله تعالى [illegible]
[illegible] من الاشكال [illegible]
بحيث لا [illegible] ولا [illegible]
بلغة العرب وليس [illegible] الغالط [illegible] لك [illegible]
في اللغة [illegible] اللغة [illegible] فكيف [illegible]
النصوص [illegible]
[illegible] الامور [illegible]
[illegible]
[illegible] الا [illegible]
[illegible] مستعارة [illegible]

افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيا منذ أول بعثته قبل النطق بهذه
الالفاظ **المثال الرابع** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسائه أسرعكن
يدا أسرعكن لحاقا بي فكان بعض نسوته يتعرف الطول بالمساحة ووضع
اليد على اليد حتى ذكر لهن انه اراد بذلك السماحة في الجود دون الطول العضو
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هذه اللفظة مع قرينة أفهم بها ارادة
الجود بالتعبير بطول اليد عنه فلما نقل اللفظ مجردا عن قرينته حصل الايهام
فهل كان لأحد ان يعترض على رسول الله صلى الله عليه وسلم في اطلاقه لفظا
جهل بعضهم معناه انما ذلك لأنه أطلق اطلاقا فهمه في حق الحاضرين
مقرونا مثلا بذكر السخاوة والناقل قد ينقل اللفظ كما سمعه ولا ينقل القرينة
أو كان بحيث لا يمكن نقلها او ظن انه لا حاجة الى نقلها وان من يسمع يفهم
كما فهم هو لما سمعه فربما لا يشعر ان فهمه انما كان بسبب القرينة فلذلك
يقتصر على نقل اللفظ فمثل هذه الاسباب بقيت الالفاظ مجردة عن
قرائنها فقصرت عن التفهيم مع ان قرينة معرفة النقد ليس بمجردها كافية
في نفي الايهام وان كانت وربما لا تكفي في تعيين المراد به فهذه الدقائق
لا بد من التنبه لها **المثال الخامس** اذا قال القائل بين يدي الصبي
من يقرب منه درجته ممن لم يمارس الاحوال ولا عرف العادات في
المجالسات فلان دخل جمعا وجلس فوق فلان ربما يتوهم السامع الجاهل
الغبي انه جلس على رأسه او على مكان فوق رأسه ومن عرف العادات وعلم
ان ما هو أقرب الى الصدر أعلى في الرتبة وان الفوق عبارة عن العلو
يفهم منه انه جلس بجنبه لا فوق رأسه لكن جلس أقرب الى الصدر فالاعتراض
على من خاطب بهذا الكلام أهل المعرفة بالعادات من حيث انه يجهل
الصبيان أو الاغبياء اعتراض باطل لا اصل له وامثلة ذلك كثيرة فقد

الاكثرين بل أمرنا ان نكلم الناس الا على قدر عقولهم وقال صلى الله عليه وسلم
من حدث الناس بحديث لا يفهمونه كان فتنة على بعضهم او لفظ مثل معناه
فان قيل ان كان في المبالغة في التنزيه خوف التعطيل بالاضافة الى البعض ففي
استعمال الالفاظ الموهمة خوف التشبيه بالاضافة الى البعض قلنا بينهما فرق
من وجهين احدهما ان ذلك يدعو الى التعطيل في حق الاكثرين وهذا يدعو
الى التشبيه في حق الاقلين واهون الضررين اولى بالاحتمال واعم الضررين
اولى بالاجتناب والثاني ان علاج وهم التشبيه اسهل من علاج التعطيل
اذ يكفي ان يقال مع هذه الظواهر ليس كمثله شيء وانه ليس بجسم ولا مثل
الاجسام واما اثبات موجود في الاعتقاد على ما ذكرناه من المبالغة في التنزيه
شديد جدا بل لا يقبله واحد من الالف لا سيما الامة الامية العربية فان قيل
فعجز الناس عن الفهم هل يمهد عذر الانبياء في ان يثبتوا في عقائدهم امورا
على خلاف ما هي عليها ليثبت في اعتقادهم اصل الالهية حتى توهموا عندهم
مثلا ان الله مستقر على العرش وانه في السماء وانه فوقهم فوقية المكان قلنا معاذ
الله ان نظن ذلك او نتوهم بنبي صادق ان يصف الله بغير ما هو متصف به
وان يلقي ذلك في اعتقاد الخلق فانما تأثير قصور الخلق في ان يذكر لهم ما
يطيقون فهموا ما لا يفهمونه فيكف عنه فلا يعرفهم بل يسكت عنهم وانما
ينطق به مع من يطيقه ويفهمه ويحسن في ذلك علاج عجز الخلق وقصورهم ولا
ضرورة في تفهيمهم خلاف الحق قصدا لا سيما في صفات الله نعم به ضرورة في
استعمال الالفاظ مستعارة بما يناط الاغبياء في فهمها وذلك لقصور اللغات
وضرورة المحاورات فاما تفهيمهم خلاف الحق قصدا الى التجهيل فمحال
سواء فرض فيه مصلحة اولم تفرض فان قيل قد جهل اهل التشبيه جهلا
يستند الى الالفاظ وعلمان الفاظ الظواهر تفضي الى جهلهم فهما جاء بلفظة

واضع اللغة لما لم يضع لهيئة المسألة وخصوص ترتيبها اسما نصا اما لانه لم يفهم المسألة او فهم لكن لم يحضره او حضره لكن لم يضع لها نصا خاصا اعتمادا على امكان الاستعارة او لانه علم انه عاجز عن ان يضع لكل معنى لفظا خاصا نصا لان المعاني غير متناهية العدد والموضوعات بالقطع يجب ان تتناهى فتبقى معان لا نهاية لها يجب ان يستعار اسمها من الموضع فاكتفى بوضع البعض وسائر اللغات اشد قصورا من لغة العرب فهذا وامثاله من الضرورة يدعو الى الاستعارة لمن يتكلم بلغة قوم اذ لا يمكنه ان يخرج عن لغتهم كيف ونحن نجوز الاستعارة حيث لا ضرورة اعتمادا على القرائن فانا لا نفرق بين ان يقول القائل جلس زيد فوق عمرو وبين ان يقول جلس اقرب منه الى الصدر وان بغداد في ولاية الخليفة او في يده اذ امان الكلام مع العقلاء وليس في الامكان حفظ الالفاظ عن افهام الصبيان والجهال فالاشتغال بالاحتراز عن ذلك ركاكة في الكلام وسخافة في العقل وثقل في اللفظ فان قيل فلم لم يكشف الغطاء عن المراد باطلاق لفظ الاله ولم يقل انه موجود ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا هو داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل ولا هو في مكان ولا هو في جهة بل الجهات كلها خالية عنه فهذا هو الحق عند قوم والافصاح عنه كذلك كما افصح عنه المتكلمون ممكن ولم يكن في عبارته صلى الله عليه وسلم قصور ولا في رغبته في كشف الحق فتور ولا في معرفته نقصان قلنا من رأى هذا حقيقة الحق اعتذر بان هذا لو ذكره لنفر الناس عن قبوله ولبادروا بالانكار وقالوا هذا عين المحال ووقعوا في التعطيل ولا خير في المبالغة في تنزيه ينتج التعطيل في حق الكافة الا الاقلين وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم داعيا للخلق الى سعادة الآخرة رحمة للعالمين كيف ينطق بما فيه هلاك

وليس علينا [illegible] بل [illegible] قبل معرفته فكذلك نقول لا نجوز اثباتها بعد
والاصح منها انه يجوز [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الوجه الذي [illegible] من غير زيادة [illegible] وتقديم وتأخير ومثله
فيستدل بما [illegible] حيث قال [illegible] اتم بيانه وبحث قال
قلت [illegible] الرحمن فقوله بكذا لا يزيد
[illegible] الحكم وليس بواجب وإذا
ثبت [illegible] غير تغير قوله صلى الله عليه وسلم قرآن
كلام الله [illegible] قلنا الجواب في هذه المسألة
[illegible] الاسباب
[illegible] لا نقول [illegible]
المصطفى [illegible] القرآن [illegible]
[illegible]
[illegible] النبي
صلى الله عليه وسلم [illegible] القرآن
[illegible] قلنا لا [illegible]
[illegible]
وان كان القرآن [illegible] قد [illegible]
[illegible] النبي صلى الله عليه وسلم
[illegible] المسألة قلنا هذا [illegible]
[illegible] بالاتصال عليها
[illegible] انه [illegible]
قال [illegible] القرآن [illegible]

مجمل ملبس فوضحه لم يفترق الحال بين ان يكون بمجرد اقصدك الى تجهيل و
بين ان لا يقصد التجهيل مهما حصل التجهيل وهو ذالرب وراض قلنا الاشبه
أن جهل أهل التشبيه حصل بالقائل بل بتقصيرهم في كسب معرفة التقديس و
تقديمه على النظر في الالفاظ ولو حصلوا تلك المعرفة أولا وقدموها لما جهلوها
كما ان من حصل علم التقديس لم يجهل عند سماع صورة المسألة وانما
الواجب عليهم تحصيل هذا العلم ثم مراجعة العلماء اذا اشكل في ذلك ثم كف
النفس عن التأويل والزامها التقديس اذا رسم له العلماء فان لم يفعلوا
جهلوا وعلم الشارع بان الناس في طباعهم الكسل والتقصير والفضول
بالخوض فيما ليس من شأنهم ليس رضاء بذلك ولا سعيا في تحصيل الجهل
لكنه رضاء بقضاء الله وقدره في سنته حيث قال وتمت كلمة ربك لأملأن
جهنم من الجنة والناس اجمعين وقال ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة
ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفانت تكره الناس حتى يكونوا
مؤمنين وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ولا يزالون مختلفين الا
من رحم ربك ولذلك خلقهم فهذا هو القهر الالهي بحظوة الخلق ولا قدرة
للانبياء في تغيير سنته التي لا تبديل لها فصل لذلك تقول الكف عن السؤال والامساك
عن الجواب من أين يغني وقد شاع في البلد هذه الاختلافات وظهرت التعصبات فكيف
سبيل الجواب اذا سئل عن هذه المسائل قلنا الجواب ما قاله مالك رض في الاستواء
اذ قال الاستواء معلوم الحديث فيذكر هذا الجواب في كل مسئلة سئل عنها العوام
لينحسم سبيل الفتنة فان قيل فاذا سئل عن الفوق واليد والاصبع فبم يجيب قلنا
الجواب ان يقال الحق فيما قاله صلى الله عليه وسلم وقاله الله تعالى وقد صدق حيث قال
الرحمن على العرش استوى فيعلم انه قطعا انه ما اراد الجلوس والاستقرار الذي هو صفة
الاجسام ولا ندري ما الذي اراده ولم نكلف معرفته وصدق حيث قال وهو القاهر فوق عباده
وفوقية المكان محال فانه كان قبل المكان فهو الآن كما كان وما اراده فلسنا نعرفه

كشفنا الغطاء عن المسألة وخلصناه عن الاشكال في القرآن وقلنا اعلم ان كل
شئ مثلا في الوجود اربع مراتب وجود في الاعيان ووجود في الاذهان
ووجود في اللسان ووجود في البياض المكتوب عليه كالنار مثلا فان
لها وجودا في التنور ووجودا في الخيال والذهن واعني بهذا الوجود
العلم بنفس النار وحقيقتها ولها وجود في اللسان وهي الكلمة الدالة عليه
اعني لفظ النار ولها وجود في البياض المكتوب عليه بالرقوم والاحراق صفة
خاصة للنار كالقدم للقرآن ولكلام الله تعالى والمحرق من هذه الجملة الذي
في التنور دون الذي في الاذهان وفي اللسان وعلى البياض اذ لو كان المحرق
في البياض واللسان لاحترق ولو قيل لنا النار محرقة قلنا نعم فان قيل لنا
كلمة النار محرقة قلنا لا فان قيل حروف النار محرقة قلنا لا فان قيل رقوم هذه
الحروف على البياض محرقة قلنا لا فان قيل المذكور بكلمة النار والمكتوب
بكلمة النار محرق قلنا نعم لان المذكور والمكتوب بهاتين الكلمتين ما في التنور
وما في التنور محرق فكذلك القدم وصف كلام الله تعالى كالاحراق وصف
النار وما يطلق عليه اسم القرآن وجوده على اربع مراتب اولها وهي الاصل
وجوده قائما بذات الله تعالى يضاهي وجود النار في التنور ولله المثل
الاعلى ولكن لابد من هذه الامثلة في تفهيم العجزة والقدم وصف خاص
لهذا الوجود والثانية وجوده العلمي في اذهاننا عند التعلم قبل ان ننطق
بلساننا ثم وجوده في لساننا بتقطيع اصواتنا ثم وجوده في الاوراق بالكتب
فاذا سئلنا عما في اذهاننا من علم القرآن قبل النطق به قلنا علمنا صفتنا وهي
مخلوقة لكن المعلوم به قديم كما ان علمنا بالنار وثبوت صورتها في خيالنا
غير محرق لكن المعلوم به محرق وان سئلنا عن صوتنا وحركة لساننا ونطقنا قلنا
ذلك صفة لساننا نشأتنا حادث وصفة توجد بعده وما هو دال [illegible]

فحق اذ نطق به القرآن واما ان القرآن قديم فحق اذ نطق به الرسول صلى الله
عليه وسلم واما ان عربية القرآن قديمة فهي مسألة ثالثة لم يرد فيها انها
قديمة فلا يلزم القول بها فعلى هذا الوجه يلجم العوام والحشوية عن التصرف فيه
ونزجرهم عن القياس والقول باللوازم بل نزيد في التضييق على هذا ونقول
اذا قال القرآن كلام الله غير مخلوق فهذا لا يرخص في ان يقول القرآن قديم
ما لم يرد لفظ القديم اذ فرق بين غير المخلوق والقديم اذ يقال كلام فلان
غير مخلوق أي غير موضوع وقد يقال المخلوق بمعنى المختلق فلفظ غير
مخلوق يتطرق اليه هذا ولا يتطرق الى لفظ القديم فبينهما فرق ونحن
نعتقد قدم القرآن لا بمجرد هذا اللفظ فان هذا اللفظ لا ينبغي أن يحرف
ويبدل ويغير ويصرف بل يلزم ان يعتقد انه حق بالمعنى الذي اراده وكل
من وصف القرآن بانه مخلوق من غير نقل نص فيه مقصود فقد أبدع و
زاد ومال عن مذهب السلف وحاد **فصل** فان قيل من المسائل
المعروفة قولهم ان الايمان قديم فاذا سئلنا عنه فبم نجيب قلنا ان ملكنا
زمام الامر واستولينا على السائل منعناه عن هذا الكلام السخيف الذي
لا جدوى له وقلنا ان هذا بدعة وان كنا مغلوبين في بلادهم فنجيب
ونقول ما الذي اردت بالايمان ان اردت شيئا من معارف الخلق و
صفاتهم فجميع صفات الخلق مخلوقة وان اردت به شيئا من القرآن أو من
صفات الله تعالى فجميع صفات الله تعالى قديمة وان اردت ما ليس صفة
للخلق ولا صفة للخالق فهو غير مفهوم ولا متصور وما لا يفهم ولا يتصور
ذاته كيف يفهم حكمه في القدم والحدوث والاصل زجر السائل والسكوت
عن الجواب هذا هو مقصود مذهب السلف ولا عدول عنه الا
بضرورة وسبيل المضطر ما ذكرناه فان وجدنا ذكيا مستعدا لفهم الحقائق

اللسان ومهما فهم اشتراك اسم القرآن والنار وكل شيء من هذه الأمور
الأربعة فإذا ورد في الخبر أن القرآن في قلب العبد وأنه في المصحف وأنه في
لسان القارئ وأنه صفة ذات الله تعالى صدق بالجميع وفهم معنى الجميع
ولم يتناقض عند الأذكياء وصدق بالجميع مع الإحاطة بحقيقة المراد وهذه
أمور جلية دقيقة لا أجلى منها عند الفطن الذكي ولا أدق وأغمض منها
عند البليد الغبي فحق البليد أن يمنع من الخوض فيها ويقال له قل القرآن غير
مخلوق واسكت ولا تزد عليه ولا تنقص ولا تفتش عنه ولا تبحث وأما
الذكي فيروح عن غمة هذه الأشكال في لحظة ويوصى بأن لا يحدث العامي
بحيث لا يكلفه ما ليس في طاقته وهكذا جميع مواضع الإشكالات في الصفات
فيها حقائق جلية لأرباب البصائر يطلع عليها تلك العيون من الخواص فلا ينبغي
أن يظن بأكابر السلف عجزهم عن معرفة هذه الحقيقة وإن لم يحرروا الألفاظ
تحرير صنعة ولكنهم عرفوه وعرفوا عجز العوام فسكتوا عنهم وأسكتوهم
وذلك عين الحق والصواب ولا أعني بالأكابر الفقهاء الأكابر من حيث الجاه
والاشتهار ولكن من حيث الغوص على المعاني والاطلاع على الأسرار و
عند هذا ربما انقلب الأمر في حق العوام واعتقدوا في الاشتهار أنه الأكابر
وذلك سبب آخر من أسباب الضلال **فصل** فإن قال قائل العامي
إذا منع من البحث والنظر لم يعرف الدليل ومن لم يعرف الدليل كان
جاهلا بالمدلول وقد أمر الله تعالى كافة عباده بمعرفته أي بالإيمان به
والتصديق بوجوده أولا وبتقديسه عن سمات الحوادث ومشابهة
غيره ثانيا وبوحدانيته ثالثا وبصفاته من العلم والقدرة ونفوذ المشيئة
فيه رابعا وهذه الأمور ليست ضرورية فهي إذن نظرية وكل علم
مطلوب فلا سبيل إلى اقتناصه وتحصيله إلا بشبكة الأدلة والنظر في الأدلة

حادث بالقطع لكن منطوقنا ومذكورنا ومقروءنا ومتلونا بهذه الاصوات
الحادثة قديم كما ان ذكرنا حروف النار بلساننا كان المذكور بهذه الحروف
محرقا واصواتنا وتقطيع اصواتنا غير محرق الآن يقول قائل حروف النار
عبارة عن نفس النار قلنا ان كان كذلك فحروف النار محرقة وحروف
القرآن ان كان عبارة عن نفس المقروء فهي قديمة وكذلك المخطوط برقوم
النار والمكتوب به محرق لان المكتوب هو نفس النار واما الرقم الذي هو
صورة النار غير محرق فانه في الاوراق من غير احراق واحتراق فهذه
اربع درجات في الوجود تشتبه على العوام ولا يمكنهم ادراك تفاصيلها
وخاصة كل واحدة منهن فلذلك لا نخوض بهم فيها الا جهلنا بحقيقة هذه
الامور وكنه تفاصيلها ان النار من حيث انها في التنور توصف بانها محرقة
وخامدة ومشتعلة ومن حيث انها في اللسان يوصف بانه عجمي وتركي
وعربي وكثير الحروف وقليلها وما في التنور لا ينقسم الى العجمي والتركي و
العربي وما في اللسان لا يوصف بالخمود والاشتعال واذا كان مكتوبا على
البياض يوصف بانه احمر واخضر واسود وانه بقلم المحقق او الثلث والرقاع
او قلم النسخ وهو في اللسان لا يمكن ان يوصف بذلك واسم النار يطلق
على ما في التنور وما في القلب وما في اللسان وما على القرطاس لكن باشتراك
الاسم فاطلاق على ما في التنور حقيقة وعلى ما في الذهن من العلم لا بالحقيقة
لكن بمعنى انه صورة محاكية للنار الحقيقي كما ان ما يرى في المرآة ليس النار
نارا لا بالحقيقة ولكن بمعنى انها صورة محاكية للنار الحقيقي والاصوات وما في
اللسان من الكلمة ليس باسم بمعنى ثالث وهو انه دلالة دالة على ما في
الذهن وهذا يختلف بالاصطلاحات والاول والثاني لا اختلاف فيهما
وما في القرطاس يسمى نارا بمعنى رابع وهو انها رقوم تدل بالاصطلاح على ما في

[illegible] بعد أخذه عن المجادلين
في المعتاد [illegible] الظاهر المفيد
[illegible] لو كان فيهما آلهة الا
الله لفسدتا [illegible] بمجادلة المجادلين
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
من شئت [illegible] وقل [illegible] أو [illegible] إلى الاعتقاد الجازم
[illegible] لا يعتريه [illegible]
اعتقاده فالجزم بالصدق والورع والتقوى مثل العارف رضي الله
عنه إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أكثر من [illegible]
وتابعه ولا مطلقا لاستناد [illegible] الا حسن اعتقاده فيه ومثله إذا لقن
العامي اعتقادا وقال له: اعلم أن خالق العالم واحد وانه عالم قادر وأنه

والتفطن لوجه دلالتها على المطلوب وكيفية انتاجها وذلك لا يتم الا بمعرفة
شروط البراهين وكيفية ترتيب المقدمات واستنتاج النتائج ويجر ذلك
شيئا فشيئا الى تمام علم البحث واستيفاء علم الكلام الى آخر النظر في المعقولات
وكذلك يجب على العامي أن يصدق الرسول صلى الله عليه وسلم في كل
ما جاء به وصدقه ليس بضروري بل هو بشر كسائر الخلق فلا بد من دليل
يميزه عن غيره ممن تحدى بالنبوة كاذبا ولا يمكن ذلك الا بالنظر في المعجزة
ومعرفة حقيقة المعجزة وشروطها الى اخر النظر في النبوات وهو لب علم
الكلام قلنا الواجب على الخلق الايمان بهذه الامور والايمان عبارة
عن تصديق جازم لا تردد فيه ولا يشعر صاحبه بامكان وقوع الخطأ فيه
وهذا التصديق الجازم يحصل على ست مراتب الاولى وهي أقصاها ما يحصل
بالبرهان المستقصى المستوفى شروطه المحرر أصوله ومقدماته درجة درجة
وكلمة كلمة حتى لا يبقى مجال احتمال وتمكن التباس وذلك هو الغاية القصوى
وربما يتفق ذلك في كل عصر لواحد او اثنين ممن ينتهي الى تلك الرتبة
وقد يخلو العصر عنه ولو كانت النجاة مقصورة على مثل تلك المعرفة لقلت
النجاة وقل الناجون الثانية أن يحصل بالادلة الوهمية الكلامية المبنية على
أمور مسلمة مصدق بها لاشتهارها بين أكابر العلماء وشناعة انكارها و
نفرة النفوس عن ابداء المراء فيها وهذا الجنس أيضا يفيد في بعض الامور
وفي حق بعض الناس تصديقا جازما بحيث لا يشعر صاحبه بامكان خلافه
أصلا الثالثة أن يحصل التصديق بالادلة الخطابية أعني القدرة التي جرت
العادة باستعمالها في المحاورات والمخاطبات الجارية في العادات وذلك
يفيد في حق الاكثرين تصديقا بادي الرأي وسابق الفهم ان لم يكن
الباطن مشحونا بالتعصب وبرسوخ اعتقاد على خلاف مقتضى الدليل ولم

القلب الى التصديق ولا ينبغي أن يجادل بالعامي في ما وراء ادلة القرآن وما
في معناه من الجليات المسكنة للقلوب المستجرة لها الى الطمانينة والتصديق
ما وراء ذلك ليس على قدر طاقته واكثر الناس آمنوا في الصبا وكان سبب
تصديقهم مجرد التقليد للآباء والمعلمين لحسن ظنهم بهم وكثرة ثنائهم على
أنفسهم وثناء غيرهم عليهم وتشديدهم النكير بين أيديهم على مخالفيهم وحكايات
انواع النكال النازل بمن لا يعتقد اعتقادهم وقولهم ان فلانا اليهودي في
قبره مسخ كلبا وفلان الرافضي انقلب خنزيرا وحكايات منامات واحوال
من هذا الجنس تغرس في نفوس الصبيان النفرة عنه والميل الى ضده حتى
ينزع الشك بالكلية عن قلبه فالتعلم في الصغر كالنقش في الحجر ثم يقع نشوؤه
عليه ولا يزال يؤكد ذلك في نفسه فاذا بلغ استمر على اعتقاده الجازم وتصديقه
المحكم الذي لا يخالجه فيه ريب ولذلك ترى اولاد النصارى والروافض و
المجوس والمسلمين كلهم لا يبلغون الا على عقائد آبائهم واعتقاداتهم في الباطل
والحق جازمة لو قطعوا اربا اربا لما رجعوا عنها وهم قط لم يسمعوا عليه دليلا لا
حقيقيا ولا رسميا وكذا ترى العبيد والاماء يسبون الشرك ولا يعرفون
الاسلام فاذا وقعوا في أسر المسلمين وصحبوهم مدة ورأوا ميلهم الى
الاسلام مالوا معهم واعتقدوا اعتقادهم وتخلقوا باخلاقهم كل ذلك لمجرد
التقليد والتشبه بالتابعين والطباع مجبولة على التشبه لا سيما طباع الصبيان
وأهل الشباب فبهذا يعرف أن التصديق الجازم غير موقوف على البحث
وتحرير الادلة. **فصل** لعلك تقول لا أنكر حصول التصديق الجازم في قلوب
العوام بهذه الاسباب ولكن ليس ذلك من المعرفة في شيء وقد كلف الناس
المعرفة الحقيقية دون اعتقاد هو من جنس الجهل الذي لا يتميز فيه الباطل
عن الحق فالجواب ان هذا غلط ممن ذهب اليه بل سعادة الخلق في أن يعتقدوا

بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا بادر الى التصديق ولم يمازجه ريب ولا شك في قوله وكذلك اعتقاد الصبيان في آبائهم ومعلميهم فلا جرم يسمعون الاعتقادات ويصدقون بها ويستمرون عليها من غير حاجة الى دليل وحجة الرتبة الخامسة التصديق به الذي يسبق اليه القلب عند سماع الشيء مع قرائن أحوال لا تفيد القطع عند المحقق ولكن يلقى في قلب العوام اعتقادا جازما كما اذا سمع بالتواتر مرض رئيس البلد ثم ارتفع صراخ وعويل من داره ثم يسمع من أحد غلمانه انه قد مات اعتقد العامي جزما انه مات وبنى عليه تدبيره ولا يخطر بباله ان الغلام ربما قال ذلك عن ارجاف سمعه وان الصراخ والعويل لعله عن غشية أو شدة مرض أو سبب آخر لكن هذه خواطر بعيدة لا تخطر للعوام فتنطبع في قلوبهم الاعتقادات الجازمة وكم من اعرابي نظر الى أسارير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم والى حسن كلامه ولطف شمائله وأخلاقه فآمن به وصدقه جزما لم يخالجه ريب من غير ان يطالب بمعجزة يقيمها ويذكر وجه دلالتها الرتبة السادسة ان يسمع القول فيناسب طبعه وأخلاقه فيبادر الى التصديق لمجرد موافقته لطبعه لا من حسن اعتقاد في قائله ولا من قرينة تشهد له لكن لمناسبة ما في طباعه فالحريص على موت عدوه وقتله وعزله يصدق بجميع ذلك بادنى ارجاف ويستمر على اعتقاده جازما ولو أخبر بذلك في حق صديقه أو بشيء يخالف شهوته وهواه توقف فيه أو اباه بكل الاباء وهذه أضعف التصديقات وأدنى الدرجات لان ما قبله استند الى دليل ما وان كان ضعيفا من قرينة أو حسن اعتقاد في المخبر أو نوع من ذلك فهي أمارات يظنها العامي أدلة فتعمل في حقه عمل الادلة فاذا عرفت مراتب التصديق فاعلم ان مستند ايمان العوام هذه الاسباب وأعلى الدرجات في حقهم أدلة القرآن وما يجري مجراه مما يحرك

مؤمن فإن قلت فبم يميز المقلد بين نفسه وبين اليهودي المقلد فإن المقلد
لا يعرف التقليد ولا يعرف أنه مقلد بل يعتقد في نفسه أنه محق عارف
ولا يشك في معتقده ولا يختلج في نفسه إلا اليقين القاطع بأن خصمه
مبطل وهو محق ولعله أيضاً يستظهر بقرائن وأسباب ظاهرة وإن كانت غير
قوية في نفسه تخصص جانبها وتميزه عن خصمه فإن كان اليهودي
يعتقد في نفسه مثل ذلك فلا يتميز في ذلك عن المحق في اعتقاده كما أن
الناظر يتوهم أنه يميز نفسه عن اليهودي بالدليل واليهودي المتكلم أيضاً
يتوهم أنه يميز نفسه بالدليل وحصول ذلك لا يشكك الناظر العارف وكذلك لا
يشكك المقلد القاطع وكيف والإيمان لا يشكك في اعتقاده ومعاينة
البطلان بكلامه فهل رأيت عاميا قط تراغم وحزن من حيث يعسر
عليه الفرق بين تقليده وتقليد اليهودي بل لا يخطر ذلك ببال العوام وإن
خطر ببالهم وشوفهوا به ضحكوا من قائله وقالوا ما هذا الهذيان أو
كان بين الحق والباطل مساواة حتى يحتاج إلى الفرق فارق بينهما أنت
على الباطل وأنا على الحق وأنا متيقن لذلك غير شاك فيه فكيف أطلب
الفرق حيث يكون الفرق معلوما قطعا من غير طلب فهذه حالة
المقلدين الموقنين وهذا الإشكال لا يقع لليهودي المبطل إلا لجهله
مع نفسه فكيف يقع لهذا المقلد الذي وافق اعتقاده ما هو الحق عند
الله تعالى فظهر بهذا على القطع أن اعتقادهم جازم وأن الشرع لم
يكلفهم إلا ذلك فإن قيل فإن فرضنا عاميا جاحدا لا يحصل له اليقين بتقليد وليس
يقنعه أدلة القرآن ولا الأقاويل الجلية القريبة السابقة إلى الأفهام فما
ذا تصنع به قلنا هذا مريض مال طبعه عن صحة الفطرة وسلامة
الخلقة الأصلية فينظر في شمائله فإن وجدنا اللجاج والجدل

الشيء على ما هو عليه اعتقادا جازما انتقش قلوبهم بالصورة الموافقة لحقيقة
الحق حتى اذا ماتوا وانكشف لهم الغطاء فشاهدوا الامور على ما اعتقدوها
لم يفتضحوا ولم يحترقوا بنار الخزي والخجلة ولا بنار جهنم ثانيا وصورة
الحق اذا انتقش بالقلب فلا نظر الى السبب المفيد له أهو دليل حقيقي أو رسمي
أو اقناعي أو قبول بحسن الاعتقاد في قائله أو قبول لمجرد التقليد من غير
سبب فليس المطلوب الدليل المفيد بل الفائدة وهي حقيقة الحق على ما هي
عليه فمن اعتقد حقيقة الحق في الله وفي صفاته وكتبه ورسله واليوم الآخر
على ما هو عليه فهو سعيد وان لم يكن ذلك بدليل محرر كلامي ولم يكلف الله
عباده الا ذلك وذلك معلوم على القطع بجملة أخبار متواترة من رسول الله
صلى الله عليه وسلم في موارد الاعراب عليه وعرضه الايمان عليهم وقبولهم
ذلك وانصرافهم الى رعاية الابل والمواشي من غير تكليفه اياهم التفكر في
المعجزة ووجه دلالته والتفكر في حدوث العالم واثبات الصانع وفي أدلة
الوحدانية وسائر الصفات بل الاكثر من أجلاف العرب لو كلفوا ذلك
لم يفهموه ولم يدركوه بعد طول المدة بل كان الواحد منهم يحلفه و
يقول بالله آلله أرسلك رسولا فيقول والله الله أرسلني رسولا وكان
يصدقه بيمينه وينصرف ويقول الآخر اذا قدم عليه ونظر اليه والله ما هذا
وجه كذاب وأمثال ذلك مما لا يحصى بل كان يسلم في غزوة واحدة في
عصره وعصر أصحابه آلاف لا يفهم الاكثرون منهم أدلة الكلام ومن كان
يفهمه يحتاج الى أن يترك صناعته ويختلف الى معلم مدة مديدة ولم
ينقل قط شيء من ذلك فعلم علما ضروريا أن الله تعالى لم يكلف الخلق
الا الايمان والتصديق الجازم بما قاله كيفما حصل التصديق نعم لا
ينكر أن للعارف درجة على المقلد ولكن المقلد في الحق مؤمن كما أن العارف

هذا كتاب المنقذ من الضلال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يفتتح بحمده كل رسالة ومقالة والصلاة على محمد المصطفى
صاحب النبوة والرسالة وعلى آله وأصحابه الهادين من الضلالة أما
بعد فقد سألتني أيها الأخ في الدين أن أبث اليك غاية العلوم وأسرارها
وغائلة المذاهب وأغوارها وأحكي لك ما قاسيته في استخلاص الحق
من بين اضطراب الفرق مع تباين المسالك والطرق وما استجرأت عليه
من الارتفاع عن حضيض التقليد الى يفاع الاستبصار وما استفدته
أولا من علم الكلام وما اجتويته ثانيا من طرق أهل التعليم القاصرين لدرك
الحق على تقليد الامام وما ازدريته ثالثا من طرق التفلسف وما ارتضيته
آخرا من طريقة التصوف وما انجلى لي في تضاعيف تفتيشي عن أقاويل

غالبا على طبعه لم نجادله وطهرنا وجه الارض عنه ان كان يجاحدنا فى أصل من أصول الايمان وان توسمنا فيه بالفراسة مخائل الرشد والقبول ان جاوزنا به من الكلام الظاهر الى توفيق فى الادلة عالجناه بما قدرنا عليه من ذلك وداوينا بالجدال المر والبرهان الحلو وبالجملة فنجتهد ان نجادله بالاحسن كما أمر الله تعالى ورخصتنا فى القدر من المداواة لاندل على فتح باب الكلام مع الكافة فان الادوية تستعمل فى حق المرضى وهم الاقلون وما يعالج به المريض بحكم الضرورة يجب ان يوقى عنه الصحيح والفطرة الصحيحة الاصلية معدة لقبول الايمان دون المجادلة وتحرير حقائق الادلة وليس الضرر فى استعمال الدواء مع الاصحاء باقل من الضرر فى اهمال المداواة مع المرضى فليوضع كل شئ موضعه كما أمر الله تعالى به نبيه حيث قال ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن والمدعو بالحكمة الى الحق قوم وبالموعظة الحسنة قوم آخرون وبالمجادلة الحسنة قوم آخرون على ما فصلنا اقسامهم فى كتاب القسطاس المستقيم فلا نطول باعادته

تم

مرات . وصبيان النصارى لا يكون لهم نشوء إلا على التنصر وصبيان اليهود لا نشوء لهم إلا على التهود وصبيان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الإسلام وسمعت الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال كل مولود يولد على فطرة الإسلام فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فتحرك باطني إلى طلب حقيقة الفطرة الأصلية وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والأستاذين والتمييز بين هذه التقليدات وأوائلها تلقينات وفي تمييز الحق منها عن الباطل اختلافات فقلت في نفسي أولاً إنما مطلوبي العلم بحقائق الأمور فلا بد من طلب حقيقة العلم ما هي فظهر لي أن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم ولا يتسع القلب لتقدير ذلك بل الأمان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارناً لليقين مقارنة لو تحدى بإظهار بطلانه مثلاً من يقلب الحجر ذهباً والعصا ثعباناً لم يورث ذلك شكاً وإنكاراً فإني إذا علمت أن العشرة أكثر من الثلاثة فلو قال لي قائل لا بل الثلاثة أكثر بدليل أني أقلب هذه العصا ثعباناً وقلبها وشاهدت ذلك منه لم أشك بسببه في معرفتي ولم يحصل لي منه إلا التعجب من كيفية قدرته عليه فأما الشك فيما علمته فلا ثم علمت أن كل ما لا أعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقيني

القول في مداخل السفسطة وجحد العلوم

ثم فتشت عن علومي فوجدت نفسي عاطلاً من علم موصوف بهذه الصفة إلا في الحسيات والضروريات فقلت الآن بعد حصول اليأس لا مطمع في اقتباس المشكلات إلا من الجليات وهي الحسيات والضروريات فلا بد من إحكامها أولاً لأتيقن أن ثقتي بالمحسوسات وأماني من الغلط في الضروريات من جنس أماني الذي كان من قبل في

الخلق من لباب الحق وما صرفني عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلبة وما دعاني
الى معاودتي بنيسابور بعد طول المدة فابتدرت لاجابتك الى مطلبك
بعد الوقوف على صدق رغبتك وقلت مستعينا بالله ومتوكلا عليه ومستوفقا
منه وملتجئا اليه اعلموا احسن الله تعالى ارشادكم وألان للحق قيادكم أن
اختلاف الخلق في الاديان والملل ثم اختلاف الائمة في المذاهب على كثرة
الفرق وتباين الطرق بحر عميق غرق فيه الاكثرون وما نجا منه الا الاقلون و
كل فريق يزعم أنه الناجي وكل حزب بما لديهم فرحون وهو الذي وعدنا به
سيد المرسلين صلوات الله عليه وهو الصادق المصدوق حيث قال ستفترق
أمتي ثلاثا وسبعين فرقة الناجية منها واحدة فقد كاد ما وعد أن يكون ولم
أزل في عنفوان شبابي منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين الى الآن
وقد أناف السن على الخمسين أقتحم لجة هذا البحر العميق وأخوض غمرته
خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور وأتوغل في كل مظلمة وأتهجم على
كل مشكلة وأتقحم كل ورطة وأتفحص عن عقيدة كل فرقة وأستكشف أسرار
مذهب كل طائفة لأميز بين محق ومبطل ومتسنن ومبتدع لا أغادر
باطنيا الا وأحب أن أطلع على باطنيته ولا ظاهريا الا وأريد أن أعلم حاصل
ظهارته ولا فلسفيا الا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته ولا متكلما الا وأجتهد
في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ولا صوفيا الا وأحرص على العثور على سر
صفوته ولا متعبدا الا وأترصد ما يرجع اليه حاصل عبادته ولا زنديقا
معطلا الا وأتجسس وراءه للتنبه لأسباب جرأته في تعطيله وزندقته وقد كان
التعطش الى درك حقائق الامور دأبي وديدني من أول امري وريعان عمري
غريزة وفطرة من الله وضعتا في جبلتي لا باختياري وحيلتي حتى انحلت عني
رابطة التقليد وانكسرت علي العقائد الموروثة على قرب عهد سن الصبا

أخرى نسبتها الى يقظتك كنسبة يقظتك الى منامك وتكون يقظتك نوما بالاضافة
اليها فاذا وردت تلك الحالة تيقنت ان جميع ما توهمت بعقلك خيالات
لا حاصل لها ولعل تلك الحالة ما يدعيه الصوفية انها حالتهم اذ يزعمون انهم
يشاهدون في احوالهم التي لهم اذا غاصوا في انفسهم وغابوا عن حواسهم احوالا
لا توافق هذه المعقولات ولعل تلك الحالة هي الموت اذ قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فلعل الحياة الدنيا نوم بالاضافة
الى الآخرة فاذا مات ظهرت له الاشياء على خلاف ما يشاهده الآن ويقال له عند
ذلك فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فلما خطرت لي هذه الخواطر
وانقدحت في النفس حاولت لذلك علاجا فلم يتيسر اذ لم يكن دفعه الا
بالدليل ولم يمكن نصب دليل الا من تركيب العلوم الاولية فاذا لم تكن مسلمة
لم يمكن تركيب الدليل فاعضل هذا الداء ودام قريبا من شهرين انا فيهما على
مذهب السفسطة بحكم الحال لا بحكم النطق والمقال حتى شفى الله تعالى من ذلك
المرض وعادت النفس الى الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات العقلية
مقبولة موثوقا بها على امن ويقين ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام بل
بنور قذفه الله تعالى في الصدر وذلك النور هو مفتاح اكثر المعارف فمن
ظن ان الكشف موقوف على الادلة المحررة فقد ضيق رحمة الله الواسعة ولما
سئل رسول الله عليه السلام عن الشرح ومعناه في قوله تعالى فمن يرد الله ان
يهديه يشرح صدره للاسلام فقال هو نور يقذفه الله تعالى في القلب
فقيل وما علامته فقال التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود وهو
الذي قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من
نوره فمن ذلك النور ينبغي ان يطلب الكشف وذلك النور ينبجس من الجود
الالهي في بعض الاحايين ويجب الترصد له كما قال عليه السلام ان لربكم

التقليديات ومن جنس أمان أكثر الخلق في النظريات أم هو أمان محقق لا
غلط فيه ولا غائلة له فأقبلت بجد بليغ أتأمل في المحسوسات والضروريات
وانظر هل يمكنني أن أشكك نفسي فيها فانتهى بي طول التشكك إلى أن لم تسمح
نفسي بتسليم الأمان في المحسوسات أيضا وأخذ يتسع هذا الشك فيها ويقول
من أين الثقة بالمحسوسات وأقواها حاسة البصر وهي تنظر إلى الظل فتراه
واقفا غير متحرك وتحكم بنفي الحركة ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة تعرف
أنه متحرك وأنه لم يتحرك بغتة ودفعة بل على التدريج ذرة ذرة حتى لم تكن له حالة
وقوف وتنظر إلى الكوكب فتراه صغيرا في مقدار دينار ثم الأدلة الهندسية
تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار وهذا وأمثاله من المحسوسات يحكم فيها
حاكم الحس بأحكامه ويكذبه حاكم العقل ويخونه تكذيبا لا سبيل إلى مدافعته
فقلت قد بطلت الثقة بالمحسوسات أيضا فلعله لا ثقة إلا بالعقليات التي هي
من الأوليات كقولنا العشرة أكثر من الثلاثة والنفي والإثبات لا يجتمعان في
الشيء الواحد والشيء الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما واجبا
محالا فقالت المحسوسات بم تأمن أن تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات
وقد كنت واثقا بي فجاء حاكم العقل فكذبني ولولا حاكم العقل لكنت تستمر
على تصديقي فلعل وراء إدراك العقل حاكما آخر إذا تجلى كذب العقل في حكمه
كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه وعدم تجلي ذلك الإدراك لا يدل
على استحالته فتوقفت النفس في جواب ذلك قليلا وأيدت إشكالها بالمنام
وقالت أما تراك تعتقد في النوم أمورا وتتخيل أحوالا وتعتقد لها ثباتا و
استقرارا ولا تشك في تلك الحالة فيها ثم تستيقظ فتعلم أنه لم يكن لجميع
متخيلاتك ومعتقداتك أصل وطائل فبم تأمن أن يكون جميع ما تعتقده في يقظتك
بحس أو عقل هو حق بالإضافة إلى حالتك لكن يمكن أن تطرأ عليك حالة

يشوشون عقائد الحق على أهلها فأنشأ الله تعالى طائفة المتكلمين وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب يكشف عن تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف السنة المأثورة فمنه نشأ علم الكلام وأهله فلقد قام طائفة منهم بما ندبهم الله تعالى إليه فأحسنوا الذب عن السنة والنضال عن العقيدة المتلقاة بالقبول من النبوة والتغيير في وجه ما أحدث من البدعة ولكنهم اعتمدوا في ذلك على مقدمات تسلموها من خصومهم واضطرهم إلى تسليمها إما التقليد أو إجماع الأمة أو مجرد القبول من القرآن والأخبار وكان أكثر خوضهم في استخراج مناقضات الخصوم ومؤاخذتهم بلوازم مسلماتهم وهذا قليل النفع في حق من لا يسلم سوى الضروريات شيئا أصلا فلم يكن الكلام في حقي كافيا ولا لدائي الذي كنت أشكوه شافيا نعم لما نشأت صنعة الكلام وكثر الخوض فيه وطالت المدة تشوف المتكلمون إلى محاولة الذب عن السنة بالبحث عن حقائق الأمور وخاضوا في البحث عن الجواهر والأعراض وأحكامها ولكن لما لم يكن ذلك مقصود علمهم لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى فلم يحصل منه ما يمحق بالكلية ظلمات الحيرة في اختلافات الخلق ولا أبعد أن يكون قد حصل ذلك لغيري بل لست أشك في حصول ذلك لطائفة ولكن حصولا مشوبا بالتقليد في بعض الأمور التي ليست من الأوليات والغرض الآن حكاية حالي لا الإنكار على من استشفى به فإن أدوية الشفاء تختلف باختلاف الداء وكم من دواء ينتفع به مريض ويستضر به آخر

القول في ماهية الفلسفة وما يذم منها وما لا يذم وما يكفر به قائله وما لا يكفر وما يبدع فيه وما لا يبدع وبيان ما سرقوه من كلام أهل الحق ومزجوه بكلامهم لترويج باطلهم في درج ذلك وكيفية حصول نفرة النفوس من ذلك الحق وكيفية استخلاص صراف الحقائق الحق الخالص من الزيف والبهرج من جملة كلامهم ثم إني ابتدأت بعد الفراغ من علم الكلام بعلم

دهركم نفحات الا فتعرضوا لها والمقصود من هذه الحكايات أن يعمل كمال الجد في الطلب حتى ينتهي الى طلب ما لا يطلب فان الاوليات ليست مطلوبة فانها حاضرة والحاضر اذا طلب فقد واختفى ومن طلب ما لا يطلب فلا يتهم بالتقصير في طلب ما يطلب

القول في اصناف الطالبين

ولما شفاني الله تعالى من هذا المرض بفضله وسعة جوده وانحصرت اصناف الطالبين عندي في اربع فرق المتكلمون وهم يدعون أنهم اهل الرأي والنظر والباطنية وهم يزعمون انهم اصحاب التعليم والمخصوصون بالاقتباس من الامام المعصوم والفلاسفة وهم يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان والصوفية وهم يدعون أنهم خواص الحضرة واهل المشاهدة والمكاشفة فقلت في نفسي الحق لا يعدو هذه الاصناف الاربعة فهؤلاء هم السالكون سبل طلب الحق فان شذ الحق عنهم فلا يبقى في درك الحق مطمع اذ لا مطمع في الرجوع الى التقليد بعد مفارقته اذ من شرط المقلد أن لا يعلم أنه مقلد فاذا علم ذلك انكسرت زجاجة تقليده وهو شعب لا يرأب وشعث لا يلم بالتلفيق والتأليف الا أن يذاب بالنار ويستأنف لها صنعة أخرى مستجدة فابتدرت لسلوك هذه الطرق واستقصاء ما عند هذه الفرق مبتدئا بعلم الكلام ومثنيا بطريق الفلسفة ومثلثا بتعليمات الباطنية ومربعا بطريق الصوفية

القول في بيان مقصود علم الكلام وحاصله

ثم اني ابتدأت بعلم الكلام فحصلته وعقلته وطالعت كتب المحققين منهم وصنفت فيه ما اردت ان أصنف فصادفته علما وافيا بمقصوده غير واف بمقصودي وانما مقصوده حفظ عقيدة اهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة فقد ألقى الله تعالى الى عباده على لسان رسوله عقيدة هي الحق على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم كما نطق بمعرفته القرآن والاخبار ثم القى الشيطان في وساوس المبتدعة أمورا مخالفة للسنة فلهجوا بها وكادوا

وكذا أن يكون ابن وهؤلاء هم الزنادقة الصنف الثاني **الطبيعيون**
وهم قوم أكثروا بحثهم عن عالم الطبيعة وعن عجائب الحيوان والنبات وأكثروا
الخوض في علم تشريح أعضاء الحيوانات فرأوا فيها من عجائب صنع الله تعالى
وبدائع حكمته ما اضطروا معه إلى الاعتراف بفاطر حكيم مطلع على غايات الأمور
ومقاصدها ولا يطالع التشريح وعجائب منافع الأعضاء مطالع إلا ويحصل له هذا
العلم الضروري بكمال تدبير الباني لبنية الحيوان لا سيما بنية الإنسان إلا أن
هؤلاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة ظهر عندهم لاعتدال المزاج تأثير عظيم في قوام
قوى الحيوان به فظنوا أن القوة العاقلة من الإنسان تابعة لمزاجه أيضا وأنها
تبطل ببطلان مزاجه فتنعدم ثم إذا انعدمت فلا يعقل إعادة المعدوم كما زعموا فذهبوا إلى
أن النفس تموت ولا تعود فجحدوا الآخرة وأنكروا الجنة والنار والقيامة و
الحساب فلم يبق عندهم للطاعة ثواب ولا للمعصية عقاب فانحل عنهم اللجام
وانهمكوا في الشهوات انهماك الأنعام وهؤلاء أيضا زنادقة لأن أصل الإيمان
هو الإيمان بالله واليوم الآخر وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر وإن آمنوا بالله
وصفاته الصنف الثالث **الإلهيون** وهم المتأخرون منهم مثل سقراط
وهو أستاذ أفلاطون وأفلاطون أستاذ أرسطاطاليس وأرسطاطاليس هو الذي رتب لهم
المنطق وهذب العلوم وخمر لهم ما لم يكن مخمرا من قبل وأنضج لهم ما كان
فجا من علومهم وهم بجملتهم ردوا على الصنفين الأولين من الدهرية والطبيعية
وأوردوا في الكشف عن فضائحهم ما أغنوا به غيرهم وكفى الله المؤمنين القتال
بتقاتلهم ثم رد أرسطاطاليس على أفلاطون وسقراط ومن كان قبلهم من الإلهيين
ردا لم يقصر فيه حتى تبرأ عن جميعهم إلا أنه استبقى أيضا من رذائل كفرهم
وبدعتهم بقايا لم يوفق للنزوع منها فوجب تكفيرهم وتكفير متبعيهم من المتفلسفة
الإسلاميين كابن سينا والفارابي وغيرهما على أنه لم يقم بنقل علم أرسطاطاليس

الفلسفة وعلمت يقينا انه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على
منتهى ذلك العلم حتى يساوي أعلمهم في أصل العلم ثم يزيد عليه ويجاوز درجته
فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غور وغائلة فاذ ذاك يمكن ان يكون ما
يدعيه من فساده حقا ولم ار احدا من علماء الاسلام صرف عنايته وهمته الى ذلك
ولم يكن في كتب المتكلمين من كلامهم حيث اشتغلوا بالرد عليهم الا كلمات معقدة
مبددة ظاهرة التناقض والفساد لا يظن الاغترار بها بغافل عامي فضلا عمن يدعي
دقائق العلوم فعلمت ان رد المذهب قبل فهمه والاطلاع على كنهه رمي في عماية
فشمرت عن ساق الجد في تحصيل ذلك العلم من الكتب بمجرد المطالعة من غير
استعانة باستاذ واقبلت على ذلك في أوقات فراغي من التصنيف والتدريس
في العلوم الشرعية وانا ممنو بالتدريس والافادة لثلاثمائة نفس من الطلبة
ببغداد فاطلعني الله سبحانه بمجرد المطالعة في هذه الاوقات المختلسة على منتهى
علومهم في أقل من سنتين ثم لم أزل اواظب على التفكر فيه بعد فهمه قريبا من سنة
اعاوده وارد ده واتفقد غوائله واغواره حتى اطلعت على ما فيه من خداع و
تلبيس وتحقيق وتخييل اطلاعا لم أشك فيه فاسمع الآن حكايته وحكاية
حاصل علومهم فاني رأيتهم اصنافا ورأيت علومهم أقساما وهم على كثرة اصنافهم
يلزمهم سمة الكفر والالحاد وان كان بين القدماء منهم والاقدمين وبين
الاواخر منهم والاوائل تفاوت عظيم في البعد عن الحق والقرب منه

فصل في اصنافهم وشمول سمة الكفر كافتهم

اعلم انهم على كثرة فرقهم
واختلاف مذاهبهم ينقسمون الى ثلاثة أقسام الدهريون والطبيعيون و
الالهيون الصنف الاول **الدهريون** وهم طائفة من الاقدمين
جحدوا الصانع المدبر العالم القادر وزعموا ان العالم لم يزل موجودا كذلك
بنفسه لا بصانع ولم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان كذلك كان

شهوة البطالة وحب التكايس على ان يصر على تحسين الظن بهم في العلوم كلها
فهذه آفة عظيمة لاجلها يجب زجر كل من يخوض في تلك العلوم فانها وان لم
تتعلق بامر الدين لكن لما كانت من مبادي علومهم يسري اليه شرهم وشؤمهم
فقل من يخوض فيه الا وينخلع من الدين وينحل عن رأسه لجام التقوى

الآفة الثانية نشأت من صديق للاسلام جاهل ظن ان الدين ينبغي
ان ينصر بانكار كل علم منسوب اليهم فانكر جميع علومهم وادعى جهلهم فيها حتى
انكر قولهم في الكسوف والخسوف وزعم ان ما قالوه على خلاف الشرع فلما
قرع ذلك سمع من عرف ذلك بالبرهان القاطع لم يشك في برهانه لكن اعتقد
ان الاسلام مبني على الجهل وانكار البرهان القاطع فيزداد للفلسفة حبا و
للاسلام بغضا ولقد عظم على الدين جناية من ان الاسلام ينصر بانكار هذه
العلوم وليس في الشرع تعرض لهذه العلوم بالنفي والاثبات ولا في هذه العلوم
تعرض للامور الدينية وقوله عليه السلام ان الشمس والقمر آيتان من آيات
الله لا ينخسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله
تعالى والى الصلاة ليس في هذا ما يوجب انكار علم الحساب المعرف بمسير
الشمس والقمر واجتماعهما او مقابلتهما على وجه مخصوص واما قوله لكن الله
اذا تجلى لشيء خضع له فليس توجد هذه الزيادة في الصحاح اصلا فهذا
حكم الرياضيات وآفتها واما المنطقيات فلا يتعلق شيء منها بالدين نفيا
واثباتا بل هو النظر في طرق الادلة والمقاييس وشروط مقدمات البرهان
وكيفية تركيبها وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبها وان العلم اما تصور و
سبيل معرفته الحد واما تصديق وسبيل معرفته البرهان وليس في هذا
ما ينبغي ان ينكر بل هو من جنس ما ذكره المتكلمون واهل النظر في الادلة
وانما يفارقونهم بالعبارات والاصطلاحات وبزيادة الاستقصاء في

أحد من متفلسفة الإسلاميين كقيام هذين الرجلين. وما نقله غيرهما ليس يخلو عن تخبيط وتخليط يتشوش فيه قلب المطالع حتى لا يفهم. وما لا يفهم كيف يرد أو يقبل. ومجموع ما صح عندنا من فلسفة أرسطاطاليس بحسب نقل هذين الرجلين ينحصر في ثلاثة أقسام قسم يجب التكفير به وقسم يجب التبديع به وقسم لا يجب إنكاره أصلا فلنفصله

فصل في أقسام علومهم

اعلم أن علومهم بالنسبة إلى الغرض الذي نطلبه ستة أقسام رياضية ومنطقية وطبيعية وإلهية وسياسية وخلقية. أما الرياضية فتتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم وليس يتعلق شيء منها بالأمور الدينية نفيا وإثباتا بل هي أمور برهانية لا سبيل إلى مجاحدتها بعد فهمها ومعرفتها وقد تولدت منها آفتان. الأولى من ينظر فيها يتعجب من دقائقها ومن ظهور براهينها فيحسن بسبب ذلك اعتقاده في الفلاسفة ويحسب أن جميع علومهم في الوضوح وفي وثاقة البرهان كهذا العلم ثم يكون قد سمع من كفرهم وتعطيلهم وتهاونهم بالشرع ما تناولته الألسن فيكفر بالتقليد المحض ويقول لو كان الدين حقا لما اختفى على هؤلاء مع تدقيقهم في هذا العلم فإذا عرف بالتسامع كفرهم وجحدهم فيستدل على أن الحق هو الجحد والإنكار للدين وكم رأيت ممن ضل عن الحق بهذا القدر ولا مستند له سواه وإذا قيل له الحاذق في صناعة واحدة ليس يلزم أن يكون حاذقا في كل صناعة فلا يلزم أن يكون الحاذق في الفقه والكلام حاذقا في الطب ولا أن يكون الجاهل بالعقليات جاهلا بالنحو بل لكل صناعة أهل بلغوا فيها البراعة والسبق وإن كان الحمق والجهل قد يلزمهم في غيرها فكلام الأوائل في الرياضيات برهاني وفي الإلهيات تخميني لا يعرف ذلك إلا من جربه وخاض فيه فهذا إذا قرر على هذا الذي ألحد بالتقليد لم يقع منه موقع القبول بل تحمله غاية الهوى

من مذاهب الاسلاميين على ما نقله الفارابي وابن سينا ولكن مجموع ما
غلطوا فيه يرجع الى عشرين اصلا يجب تكفيرهم في ثلاثة منها وتبديعهم في سبعة
عشر ولابطال مذهبهم في هذه المسائل العشرين صنفنا كتاب التهافت اما
المسائل الثلاث فقد خالفوا فيها كافة المسلمين وذلك في قولهم ان الاجساد
لا تحشر وانما المثاب والمعاقب هي الارواح المجردة والعقوبات روحانية لا
جسمانية ولقد صدقوا في اثبات الروحانية فانها كائنة ايضا ولكن كذبوا في
انكار الجسمانية وكفروا بالشريعة فيما نطقوا به ومن ذلك قولهم ان الله تعالى يعلم
الكليات دون الجزئيات فهو ايضا كفر صريح بل الحق انه لا يعزب عن علمه
مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ومن ذلك قولهم بقدم العالم وازليته
فلم يذهب احد من المسلمين الى شيء من هذه المسائل واما ما وراء ذلك
من نفيهم الصفات وقولهم انه عليم بالذات لا بعلم زائد على الذات وما يجري
مجراه فمذهبهم فيها قريب من مذهب المعتزلة ولا يجب تكفير المعتزلة بمثل
ذلك وقد ذكرنا في كتاب فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ما يتبين به
فساد رأي من يتسارع الى التكفير في كل ما يخالف مذهبه واما السياسيات
فجميع كلامهم فيها يرجع الى الحكم المصلحية المتعلقة بالامور الدنيوية والايالة السلطانية
وانما اخذوها من كتب الله المنزلة على الانبياء ومن الحكم المأثورة عن سلف
الاولياء واما الخلقية فجميع كلامهم فيها يرجع الى حصر صفات النفس و
اخلاقها وذكر اجناسها وانواعها وكيفية معالجتها ومجاهدتها وانما
اخذوها من كلام الصوفية وهم المتألهون المثابرون على ذكر الله تعالى وعلى
مخالفة الهوى وسلوك الطريق الى الله تعالى بالاعراض عن ملاذ الدنيا
وقد انكشف لهم في مجاهدتهم من اخلاق النفس وعيوبها وآفات
اعمالها ما صرحوا بها فاخذها الفلاسفة ومزجوها بكلامهم توسلا بالتجمل

التعريفات والتشعيبات ومثال كلامهم فيه قولهم اذا ثبت ان كل (ا) (ب) لزم
ان بعض (ب) (ا) اي اذا ثبت ان كل انسان حيوان لزم ان بعض الحيوان انسان
ويعبرون عن هذا بان الموجبة الكلية تنعكس موجبة جزئية واي تعلق لهذا
بمهمات الدين حتى يجحد وينكر فاذا انكر لم يحصل من انكاره عند اهل المنطق
الا سوء الاعتقاد في عقل المنكر بل في دينه الذي يزعم انه موقوف على مثل هذا
الانكار نعم لهم نوع من الظلم في هذا العلم وهو انهم يحكمون للبرهان
شروطا يعلم انها تورث اليقين لا محالة لكنهم عند الانتهاء الى المقاصد الدينية
ما امكنهم الوفاء بتلك الشروط بل تساهلوا غاية التساهل وربما ينظر في المنطق
ايضا من يستحسنه ويراه واضحا فيظن ان ما ينقل عنهم من الكفريات مؤيدة
بمثل تلك البراهين فاستعجل بالكفر قبل الانتهاء الى العلوم الالهية فهذه
الافة ايضا متطرقة اليه **واما علم الطبيعيات** فهو بحث عن اجسام
العالم السموات وكواكبها وما تحتها من الاجسام المفردة كالماء والهواء والتراب
والنار وعن الاجسام المركبة كالحيوان والنبات والمعادن وعن اسباب تغيرها
واستحالتها وامتزاجها وذلك يضاهي بحث الطبيب عن جسم الانسان
واعضائه الرئيسة والخادمة واسباب استحالة مزاجه وكما ليس من شرط الدين
انكار علم الطب فليس من شرطه ايضا انكار ذلك العلم الا في مسائل معينة
ذكرناها في كتاب تهافت الفلاسفة وما عداها مما يجب المخالفة فيها فعند
التامل يتبين انها مندرجة تحتها واصل جملتها ان تعلم ان الطبيعة مسخرة لله
تعالى لا تعمل بنفسها بل هي مستعملة من جهة فاطرها والشمس والقمر والنجوم
والطبائع مسخرات بامره لا فعل لشيء منها بذاته عن ذاته **واما الالهيات**
ففيها اكثر اغاليطهم فما قدروا على الوفاء بالبراهين على ما شرطوا في المنطق
ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيه ولقد قرب ارسطاطاليس مذهبه فيها

فى تمييز الحق عن الباطل والهدى من الضلالة وجب حسم الباب فى زجر الكافة
عن مطالعة كتب اهل الضلال ما امكن اذ لا يسلمون عن الآفة الثانية التى
ذكرناها وان سلموا عن هذه الآفة التى ذكرناها ولقد اعترض على بعض الكلمات
المبثوثة فى تصانيفنا فى اسرار علوم الدين طائفة من الذين لم تستحكم فى العلوم
سرائرهم ولم تنفتح الى اقصى غايات المذاهب بصائرهم وزعمت ان تلك الكلمات
من كلام الاوائل مع ان بعضها من مولدات الخواطر ولا يبعد ان يقع الحافر على
الحافر وبعضها يوجد فى الكتب الشرعية واكثرها موجود معناها فى كتب الصوفية
وهب انها لم توجد الا فى كتبهم فاذا كان ذلك الكلام معقولا فى نفسه مؤيدا
بالبرهان ولم يكن على مخالفة الكتاب والسنة فلم ينبغى ان يهجر ويترك فلو فتحنا
هذا الباب وتطرقنا الى ان يهجر كل حق سبق الى خاطر مبطل للزمنا ان نهجر
كثيرا من الحق ولزمنا ان نهجر جملة من آيات القرآن واخبار الرسول وحكايات
السلف وكلمات الحكماء والصوفية لان صاحب كتاب اخوان الصفاء اوردها
فى كتابه مستشهدا بها ومستدرجا قلوب الحمقى بواسطتها الى باطله ويتداعى
ذلك الى ان يستخرج المبطلون الحق من ايدينا بايداعهم اياه كتبهم واقل
درجة العالم ان يتميز عن العامي الغمر فلا يعاف العسل وان وجده فى
محجمة الحجام ويتحقق ان المحجمة لا تغير ذات العسل وان نفرة الطبع عنه
مبنى على جهل عامى منشؤه ان المحجمة انما صنعت للدم المستقذر فيظن ان
الدم مستقذر لكونه فى المحجمة ولا يدرى انه مستقذر لصفة فى ذاته فاذا عدمت
هذه الصفة فى العسل فكونه فى ظرفه لا يكسبه تلك الصفة فلا ينبغى ان يوجب له
الاستقذار فهذا وهم باطل وهو غالب على اكثر الخلق فمهما نسبت الكلام و
اسندته الى قائل حسن فيه اعتقادهم قبلوه وان كان باطلا وان اسندته
الى من ساء فيه اعتقادهم ردوه وان كان حقا فابدا يعرفون الحق بالرجال

بما الى ترويج باطلهم ولقد كان في عصرهم بل في كل عصر جماعة من المتألهين
لا يخلي الله العالم عنهم فانهم اوتاد الارض ببركتهم تنزل الرحمة الى اهل الارض كما
ورد في الخبر حيث قال عليه السلام بهم يمطرون وبهم يرزقون ومنهم كان أصحاب
الكهف وكانوا في سالف الازمنة على ما نطق به القرآن فتولد من مزجهم كلام
النبوة وكلام الصوفية بكتبهم آفتان آفة في حق القابل وآفة في حق الراد أما
آفة في حق من رده فعظيمة اذ ظنت طائفة من الضعفاء ان ذلك الكلام اذا كان
مدونا في كتبهم وممزوجا بباطلهم ينبغي أن يهجر ولا يذكر بل ينكر على من يذكره
لانهم اذ لم يسمعوه أولا الا منهم سبق الى عقولهم الضعيفة انه باطل لان قائله
مبطل كالذي يسمع من النصراني قول لا اله الا الله عيسى رسول الله فينكره
ويقول هذا كلام النصراني ولا يتوقف ريثما يتامل ان النصراني كافر باعتبار
هذا القول او باعتبار انكاره نبوة محمد عليه السلام فان لم يكن كافرا الا باعتبار
انكاره فلا ينبغي ان يخالف في غير ما هو كافر به مما هو حق في نفسه وان كان
ايضا حقا عنده وهذه عادة ضعفاء العقول يعرفون الحق بالرجال لا الرجال
بالحق والعاقل يقتدي بسيد العقلاء علي رضي الله تعالى عنه حين قال
لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله فالعاقل يعرف الحق ثم ينظر
في نفس القول فان كان حقا قبله سواء كان قائله مبطلا أو محقا بل ربما يحرص
على انتزاع الحق من أقاويل اهل الضلال عالما بان معدن الذهب الرغام
ولا بأس على الصراف ان ادخل يده في كيس القلاب وانتزع الابريز الخالص
من الزيف والبهرج مهما كان واثقا ببصيرته فانما يزجر عن معاملة
القلاب القروي دون الصيرفي البصير ويمنع من ساحل البحر الاخرق
دون السباح الحاذق ويصد عن مس الحية الصبي دون المعزم البارع
ولعمري لما غلب على اكثر الخلق ظنهم بانفسهم الحذاقة والبراعة وكمال العقل

القول في مذهب التعليم وغائلته ثم اني لما فرغت من علم
الفلسفة وتحصيله وتفهيمه وتزييف ما يزيف منه علمت ان ذلك ايضا غير
واف بكمال الغرض وان العقل ليس مستقلا بالاحاطة بجميع المطالب ولا
كاشفا للغطاء عن جميع المعضلات وكان قد نبغت نابغة التعليمية وشاع بين
الخلق تحدثهم بمعرفة معنى الامور من جهة الامام المعصوم القائم بالحق فعنّ
لي ان ابحث عن مقالاتهم لاطلع على ما في كنانتهم ثم اتفق ان ورد علي امر جازم من
حضرة الخلافة بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم فلم يسعني مدافعته
وصار ذلك مستحثا من خارج ضميمة للباعث الاصلي من الباطن فابتدأت
بطلب كتبهم وجمع مقالاتهم وكان قد بلغني بعض كلماتهم المستحدثة التي
ولدتها خواطر اهل العصر لا على المنهاج المعهود من سلفهم فجمعت تلك
الكلمات ورتبتها ترتيبا محكما مقارنا للتحقيق واستوفيت الجواب عنها
حتى انكر بعض اهل الحق مني مبالغتي في تقرير حجتهم وقال هذا سعي لهم فانهم
كانوا يعجزون عن نصرة مذهبهم بمثل هذه الشبهات لولا تحقيقك لها و
ترتيبك اياها وهذا الانكار من وجه حق فقد انكر احمد بن حنبل على الحارث
المحاسبي تصنيفه في الرد على المعتزلة فقال الحارث الرد على البدعة فرض فقال
احمد نعم ولكن حكيت شبهتهم اولا ثم اجبت عنها فلم تأمن ان يطالع
الشبهة من تعلق ذلك بفهمه ولا يلتفت الى الجواب او ينظر الى الجواب ولا
يفهم كنهه وما ذكره احمد حق ولكن في شبهة لم تنتشر ولم تشتهر فاما اذا انتشرت
فالجواب عنها واجب ولا يمكن الجواب الا بعد الحكاية نعم ينبغي ان لا يتكلف
لهم شبهة لم يتكلفوها ولم اتكلف انا ذلك بل كنت قد سمعت تلك الشبهة من
واحد من اصحابي المختلفين الي بعد ان كان قد التحق بهم وانتحل مذهبهم
وحكى انهم يضحكون على تصانيف المصنفين في الرد عليهم فانهم لم يفهموا

ولا يعرفون الرجال بالحق وهو غاية الضلال فهذه آفة الرد. الآفة الثانية
آفة القبول فان من نظر في كتبهم كاخوان الصفا وغيره فرآى ما مزجوا
بكلامهم من الحكم النبوية والكلمات الصوفية ربما استحسنها وقبلها و
حسن اعتقاده فيها فيسارع الى القبول بالباطل الممزوج به بحسن ظن حصل
بما رآه واستحسنه وذلك نوع استدراج الى الباطل ولاجل هذه الآفة
يجب الزجر عن مطالعة كتبهم لما فيها من الغدر والخطر وكما يجب صون من
لا يحسن السباحة عن مزالق الشطوط يجب صون الخلق عن مطالعة تلك
الكتب وكما يجب صون الصبيان عن مس الحيات يجب صون الاسماع
عن مختلط تلك الكلمات وكما يجب على المعزم ان لا يمس الحية بين يدي
ولده الطفل اذا علم انه سيقتدي به ويظن انه مثله بل يجب عليه ان يحذره
منه بان يحذر هو في نفسه بين يديه فكذلك يجب على العالم الراسخ مثله
وكما ان المعزم الحاذق اذا اخذ الحية وميز بين الترياق والسم فاستخرج
منه الترياق وابطل السم فليس له ان يشح بالترياق على المحتاج اليه وكذلك
الصراف الناقد البصير اذا ادخل يده في كيس القلاب واخرج منه الابريز
الخالص واطرح الزيف والبهرج فليس له ان يشح بالجيد المرضي على
من يحتاج اليه كذلك العالم وكما ان المحتاج الى الترياق اذا اشمأزت نفسه
عنه حيث علم انه مستخرج من الحية التي هي مركز السم والفقير المضطر الى
المال اذا نفر عن قبول الذهب المستخرج من كيس القلاب وجب تنبيهه
على ان نفرته جهل محض هو سبب حرمانه عن الفائدة التي هي مطلبه ويحتم
تعريفه على ان قرب الجوار بين الزيف والجيد لا يجعل الجيد زيفا كما لا يجعل
الزيف جيدا فكذلك قرب الجوار بين الحق والباطل لا يجعل الباطل حقا
كما لا يجعل الحق باطلا فهذا مقدار ما أردنا ذكره من آفة الفلسفة وغائلتها

بالرجوع ثم ان أشكلت عليه القبلة ليس له طريق الا ان يصلي بالاجتهاد اذ لو
سافر الى بلدة الامام لمعرفة القبلة لفات وقت الصلاة فاذا جازت الصلاة
الى غير القبلة بناء على الظن ويقال ان المخطئ في الاجتهاد له أجر واحد وللمصيب
أجران فكذلك في جميع المجتهدات وكذلك أمر صرف الزكاة الى الفقير وربما
يظنه فقيرا باجتهاده وهو غني باطنا اخفاء ماله ولا يكون مؤاخذا به وان
أخطأ لانه لم يؤاخذ الا بموجب ظنه فان قال ظن مخالفه كظنه فنقول هو
مأمور باتباع ظن نفسه كالمجتهد في القبلة يتبع ظن نفسه وان خالف
غيره وان قال فالمقلد يتبع أبا حنيفة والشافعي رحمهما الله أو غيرهما فأقول
والمقلد في القبلة عند الاشتباه اذا اختلف عليه المجتهدون كيف يصنع
فسيقول له مع نفسه اجتهاد في معرفة الافضل الاعلم بدلائل القبلة فيتبع
ذلك الاجتهاد فكذلك في المذاهب فرد الخلق الى الاجتهاد ضرورة
الانبياء والائمة مع العلم قد يخطؤن بل قال رسول الله عليه السلام
أنا احكم بالظاهر والله يتولى السرائر أي أنا احكم بغالب الظن الحاصل
من قول الشهود وربما اخطؤا فيه ولا سبيل الى الامن من الخطأ للانبياء
في مثل هذه المجتهدات فكيف يطمع في ذلك ولهم ههنا سؤالان أحدهما
قولهم هذا وان صح في المجتهدات فلا يصح في قواعد العقائد اذ المخطئ
فيه غير معذور فكيف السبيل اليه فأقول قواعد العقائد يشتمل عليها الكتاب
والسنة وما وراء ذلك من التفصيل والمتنازع فيه يعرف الحق فيه بالوزن بالقسطاس
المستقيم وهي الموازين التي ذكرها الله تعالى في كتابه وهي خمسة ذكرتها في
كتاب القسطاس المستقيم فان قال خصومك يخالفونك في ذلك الميزان
فأقول لا يتصور ان يفهم ذلك الميزان ثم يخالف فيه اذ لا يخالف فيه أهل
التعليم لاني استخرجته من القرآن وتعلمته منه ولا يخالف فيه أهل المنطق

مجتهد بمجتهد

بعد حجتهم وذكرت تلك الحجة وحكايتها عنهم فلم أرض لنفسي ان يظن بي غفلة عن
أصل حجتهم فلذلك أوردتها ولا ان يظن بي انى وان سمعتها فلم افهمها
فلذلك قررتها والمقصود انى قررت شبهتهم الى اقصى الامكان ثم اظهرت
فسادها والحاصل انه لا حاصل عند هؤلاء ولا طائل لكلامهم ولولا سوء
نصرة الصديق الجاهل لما انتهت تلك البدعة مع ضعفها الى هذه الدرجة ولكن
شدة التعصب دعت الذابين عن الحق الى تطويل النزاع معهم في مقدمات
كلامهم والى مجاحدتهم في كل ما نطقوا به فجاحدوهم في دعواهم الحاجة الى
التعليم والى المعلم ودعواهم انه لا يصلح كل معلم بل لا بد من معلم معصوم و
ظهرت حجتهم في اظهار الحاجة الى التعليم والى المعلم وضعف قول المنكرين في
مقابلته فاغتر بذلك جماعة وظنوا ان ذلك لضعف ناصر الحق وجهله بطريقه
بل الصواب الاعتراف بالحاجة الى معلم وانه لا بد وان يكون المعلم معصوما
ولكن معلمنا المعصوم هو محمد عليه السلام فاذا قالوا هو ميت فنقول و
معلمكم غائب فاذا قالوا معلمنا قد علم الدعاة وبثهم في البلاد وهو ينتظر
مراجعتهم ان اختلفوا أو اشكل عليهم مشكل فنقول ومعلمنا قد علم الدعاة
وبثهم في البلاد وأكمل التعليم اذ قال الله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وبعد
كمال التعليم لا يضر موت المعلم كما لا يضر غيبته بقي قولهم كيف يحكمون فيما
لم يسمعوه أبالنص ولم يسمعوه أم بالاجتهاد والرأي وهو مظنة الخلاف فنقول
نفعل ما فعل معاذ اذ بعثه رسول الله عليه السلام الى اليمن أو نحكم بالنص عند
وجوده وبالاجتهاد عند عدمه بل كما يفعله دعاتهم اذا بعدوا عن الامام
الى أقاصي المشرق اذ لا يمكنه ان يحكم بالنص فان النصوص المتناهية لا تستوعب
الوقائع الغير المتناهية ولا يمكنه الرجوع في كل واقعة الى بلدة الامام والى
أن يقطع المسافة ويرجع ويكون المستفتي قد مات وفات الانتفاع

تحقق فيما ذا اعلم صدقه ولم يعرف كافة الخلق صدق عيسى بهذه المعجزة بل
عليه من الاسئلة المشكلة ما لا يدفع الا بدقيق النظر العقلي والنظر العقلي
لا يوثق به عندك ولا يعرف دلالة المعجزة على الصدق ما لم يعرف السحر
والتمييز بينه وبين المعجزة وما لم يعرف ان الله لا يضل عباده وسؤال الاضلال
وعسر الجواب عنه مشهور فبماذا يدفع جميع ذلك ولم يكن امامك اولى
بالمتابعة من مخالفه فيرجع الى الادلة النظرية التي ينكرها وخصمه يدلي بمثل
تلك الادلة واوضح منها وهذا السؤال قد انقلب عليهم انقلابا عظيما لو
اجتمع اولهم وآخرهم على ان يجيبوا عنه جوابا لم يقدروا عليه وانما نشأ الفساد
من جماعة من الضعفة ناظروهم فلم يشتغلوا بالقلب بل بالجواب وذلك مما
يطول فيه الكلام ولا يسبق سريعا الى الافهام فلا يصلح للافحام فان قال
قائل فهذا هو القلب فهل عنه جواب فاقول نعم جوابه ان المتحير ان قال انا
متحير ولم يعين المسألة التي هو متحير فيها يقال له انت كمريض يشكو المرض
ولا يذكر عين مرضه ويطلب علاجه فيقال له ليس في الوجود علاج المرض
المطلق بل لمرض معين من صداع او اسهال او غيرهما فكذلك المتحير ينبغي
ان يعين ما هو متحير فيه فان عين المسألة عرفته الحق فيها بالوزن بالموازين
الخمسة التي لا يفهمها احد الا ويعرف بانه الميزان الحق الذي يوثق بكل ما
يوزن به فيفهم الميزان ويفهم ايضا منه صحة الوزن كما يفهم متعلم علم الحساب
نفس الحساب وكون المحاسب المعلم عالما بالحساب وصادقا فيه وقد اوضحت
ذلك في كتاب القسطاس في مقدار عشرين ورقة فليتأمل وليس المقصود الآن
بيان فساد مذهبهم فقد ذكرت ذلك في كتاب المستظهري اولا وفي كتاب
حجة الحق ثانيا وهو جواب كلام لهم عرض علي ببغداد وفي كتاب مفصل
الخلاف الذي هو اثنا عشر فصلا ثالثا وهو جواب كلام عرض علي بهمدان

لانه موافق لما شرطوه في المنطق غير مخالف له ولا يخالف فيه المتكلم لانه
موافق لما يذكره في أدلة النظريات و به يعرف الحق في الكلاميات فان قال فان
كان في يدك مثل هذا الميزان فلم لا ترفع الخلاف بين الخلق فأقول لو أصغوا
الي لرفعت الخلاف بينهم وذكرت طريق رفع الخلاف في كتاب القسطاس
المستقيم فتأمله لتعلم أنه حق وأنه يرفع الخلاف قطعا لو اصغوا ولا يصغون
بأجمعهم بل قد أصغى الي طائفة فرفعت الخلاف بينهم واما مك يريد رفع
الخلاف بينهم مع عدم اصغائهم فلم لم يرفع الى الآن ولم لم يرفع علي رضي
الله عنه وهو رأس الائمة أو يدعي أنه يقدر على حمل كافتهم على الاصغاء
قهرا فلم لم يحملهم الى الآن ولاي يوم أجله وهل حصل بين الخلق بسبب
دعوته الا زيادة خلاف وزيادة مخالف نعم كان يخشى من الخلاف نوع
من الضرر لا ينتهي الى سفك الدماء وتخريب البلاد وايتام الاولاد و
قطع الطرق والاغارة على الاموال وقد حدث في العالم من بركاتكم في رفعكم
الخلاف ما لم يكن بمثله عهد فان قال ادعيت انك ترفع الخلاف بين الخلق
ولكن المتحير بين المذاهب المتعارضة والاختلافات المتقابلة لم يلزمه
الاصغاء اليك دون خصمك واكثر الخصوم يخالفونك ولا فرق بينك و
بينهم وهذا هو سؤالهم الثاني فأقول هذا أولا ينقلب عليك فانك اذا
دعوت هذا المتحير الى نفسك فيقول المتحير بم صرت أولى من مخالفيك
واكثر أهل العلم يخالفونك فليت شعري بماذا تجيب أتجيب بان تقول إمامي
منصوص عليه فمتى يصدقك في دعوى النص وهو لم يسمع النص من الرسول
وانما سمع دعواك مع تطابق أهل العلم على اختراعك وتكذيبك ثم هب أنه
سلم لك النص فاذا كان متحيرا في أصل النبوة فقال هب ان امامك يدلى
بمعجزة عيسى فيقول الدليل على صدقك اني أحيي أباك فأحياه فنطق وقال

جوابه فهذه حقيقة حالهم فاخبرهم تقالهم فلما خبرناهم نفضنا اليد عنهم
أيضا القول في طريق الصوفية ثم اني لما فرغت من هذه العلوم
اقبلت بهمتي على طريق الصوفية وعلمت ان طريقتهم انما تتم بعلم وعمل
وكان حاصل علمهم قطع عقبات النفس والتنزه عن اخلاقها المذمومة
وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها الى تخلية القلب من غير الله تعالى وتحليته
بذكر الله وكان العلم أيسر علي من العمل فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة
كتبهم مثل قوت القلوب لابي طالب المكي رحمه الله وكتب الحارث المحاسبي
والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي وأبي يزيد البسطامي وغير ذلك
من كلام مشائخهم حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية وحصلت ما
يمكن ان يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع وظهر لي ان أخص خواصهم
ما لم يمكن الوصول اليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات فكم من
الفرق بين ان يعلم حد الصحة وحد الشبع واسبابهما وشروطهما وبين
ان يكون صحيحا وشبعان وبين ان يعرف حد السكر وانه عبارة عن حالة
تحصل من استيلاء ابخرة تتصاعد من المعدة على معادن الفكر وبين
أن يكون سكران بل السكران لا يعرف حد السكر وعلمه وهو سكران وما
معه من علمه شيء والصاحي يعرف حد السكر واركانه وما معه من السكر
شيء والطبيب في حالة المرض يعرف حد الصحة واسبابها وادويتها وهو فاقد
للصحة فكذلك فرق بين ان تعرف حقيقة الزهد وشروطها واسبابها
وبين أن يكون حالك الزهد وعزوب النفس عن الدنيا فعلمت يقينا
انهم ارباب أحوال لا اصحاب أقوال وان ما يمكن تحصيله بطريق العلم
فقد حصلته ولم يبق الا ما لا سبيل اليه بالسماع والتعلم بل بالذوق والسلوك
وكان قد حصل معي من العلوم التي مارستها والمسالك التي سلكتها في

وفي كتاب الدرج المرقوم بالجد اولى وابعا وهو من ركيك كلامهم الذي عرض على تيطوس وفي كتاب القسطاس خامسا وهو كتاب مستقل بنفسه مقصوده بيان ميزان العلوم واظهار الاستغناء عن الامام لمن احاط به بل المقصود ان هؤلاء ليس معهم شيء من الشفاء المنجي من ظلمات الآراء بل هم مع عجزهم عن اقامة البرهان على تعيين الامام طال ما جربناهم فصدقناهم في الحاجة الى التعليم والى المعلم المعصوم وانه الذي عينوه ثم سألناهم عن العلم الذي تعلموه من هذا المعصوم وعرضنا عليهم اشكالات فلم يفهموها فضلا عن القيام بحلها فلما عجزوا احالوا على الامام الغائب وقالوا انه لابد من السفر اليه والعجب انهم ضيعوا عمرهم في طلب المعلم وفي التبجح بالظفر به ولم يتعلموا منه شيئا اصلا كالمتضمخ بالنجاسة يتعب في طلب الماء حتى اذا وجده لم يستعمله وبقي متضمخا بالخبائث ومنهم من ادعى شيئا من علمهم وكان حاصل ما ذكره شيئا من ركيك فلسفة فيثاغورس وهو رجل من قدماء الاوائل ومذهبه اركّ مذاهب الفلاسفة وقد رد عليه ارسطاطاليس بل استركّ كلامه واسترذله وهو المحكي في كتاب اخوان الصفا وهو على التحقيق حشو الفلسفة فالعجب ممن يتعب طول العمر في تحصيل العلم ثم يقنع بمثل ذلك العلم الركيك المستغث ويظن انه ظفر باقصى مقاصد العلوم فهؤلاء ايضا جربناهم وسبرنا ظاهرهم وباطنهم فرجع حاصلهم الى استدراج العوام وضعفاء العقول ببيان الحاجة الى المعلم ومجادلتهم في انكارهم الحاجة الى التعليم بكلام قوي مفحم حتى اذا ساعدهم على الحاجة الى المعلم مساعد وقال هات علمه وافدنا من تعليمه وقف وقال الآن اذا سلمت لي هذا فاطلبه فانما غرضي هذا القدر فقط اذ علم انه لو زاد على ذلك لافتضح ولعجز عن حل ادنى المشكلات بل عجز عن فهمه فضلا عن

لها وتركت هذا الجاه العريض والشان المنظوم الخالى عن التكدير والتنغيص
والامن المسلم الصافى عن منازعة الخصوم ربما التفت اليه نفسك ولا يتيسر
لك المعاودة فلم ازل اتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعى الآخرة
قريبا من ستة أشهر اولها رجب سنة ثمان وثمانين واربعمائة وفى هذا
الشهر جاوز الامر حد الاختيار الى الاضطرار اذ اقفل الله على لسانى حتى
اعتقل عن التدريس فكنت اجاهد نفسى ان ادرس يوما واحدا
تطييبا للقلوب المختلفة الى فكان لا ينطق لسانى بكلمة ولا استطيعها البتة ثم
اورثت هذه العقلة فى اللسان حزنا فى القلب بطل معه قوة الهضم ومراءة
الطعام والشراب فكان لا ينساغ لى ثريد ولا تنهضم لى لقمة وتعدى الى
ضعف القوى حتى قطع الاطباء طمعهم من العلاج وقالوا هذا امر
نزل بالقلب ومنه سرى الى المزاج فلا سبيل اليه بالعلاج الا بان يتروح
السر عن الهم الملم ثم لما احسست بعجزى وسقط بالكلية اختيارى التجأت
الى الله تعالى التجاء المضطر الذى لا حيلة له فاجابنى الذى يجيب المضطر
اذا دعاه وسهل على قلبى الاعراض عن الجاه والمال والاهل والولد و
الاصحاب واظهرت عزم الخروج الى مكة وانا اورى فى نفسى سفر الشام
حذرا ان يطلع الخليفة وجملة الاصحاب على عزمى فى المقام بالشام
فتلطفت بلطائف الحيل فى الخروج من بغداد على عزم ان لا اعاودها
ابدا واستهدفت لائمة اهل العراق كافة اذ لم يكن فيهم من يجوز ان
يكون الاعراض عما كنت فيه سببا دينيا اذ ظنوا ان ذلك هو المنصب الاعلى
فى الدين وكان ذلك مبلغهم من العلم ثم ارتبك الناس فى الاستنباطات
وظن من بعد عن العراق ان ذلك كان لاستشعار من جهة الولاة و
اما من قرب من الولاة فكان يشاهد الحاحهم فى التعلق بى والانكباب

التفتيش عن صنفي العلوم الشرعية والعقلية ايمان يقيني بالله تعالى وبالنبوة
وباليوم الآخر فهذه الاصول الثلاثة من الايمان كانت رسخت في نفسي لا
بدليل معين محرر بل باسباب وقرائن وتجاريب لا تدخل تحت الحصر
تفاصيلها وكان قد ظهر عندي انه لا مطمع لي في سعادة الآخرة الا بالتقوى
وكف النفس عن الهوى وان رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا
بالتجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاقبال بكنه الهمة على الله
تعالى وان ذلك لا يتم الا بالاعراض عن الجاه والمال والهرب عن الشواغل
والعلائق ثم لاحظت احوالي فاذا انا منغمس في العلائق وقد احدقت
بي من الجوانب ولاحظت اعمالي واحسنها التدريس والتعليم فاذا انا
فيها مقبل على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة ثم تفكرت في نيتي
في التدريس فاذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى بل باعثها ومحركها طلب
الجاه وانتشار الصيت فتيقنت اني على شفا جرف هار واني قد اشفيت
على النار ان لم اشتغل بتلافي الاحوال فلم ازل اتفكر فيه مدة وانا بعد على
مقام الاختيار اصمم العزم على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الاحوال
يوما واحل العزم يوما واقدم فيه رجلا واؤخر عنه اخرى لا يصفو لي رغبة
في طلب الآخرة بكرة الا ويحمل عليه جند الشهوة حملة فيفترها عشية
فصارت شهوات الدنيا تجاذبني سلاسلها الى المقام ومنادي الايمان
ينادي الرحيل الرحيل فلم يبق من العمر الا قليل وبين يديك السفر
الطويل وجميع ما انت فيه من العلم والعمل رياء وتخييل فان لم تستعد
الآن للآخرة فمتى تستعد وان لم تقطع الآن فمتى تقطع فعند ذلك
تنبعث الداعية وينجزم العزم على الهرب والفرار ثم يعود الشيطان ويقول
هذه حالة عارضة واياك ان تطاوعها فانها سريعة الزوال وان اذعنت

وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا من سيرهم وأخلاقهم
ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا اليه سبيلا وان جميع حركاتهم وسكناتهم في
ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه
الارض نور يستضاء به وبالجملة فماذا يقول القائلون في طريقة طهارتها وهي
اول شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ومفتاحها الجاري منها مجرى
التحريم من الصلاة استغراق القلب بالكلية بذكر الله وآخرها الفناء بالكلية في الله
وهذا آخرها بالاضافة الى ما يكاد يدخل تحت الاختيار والكسب من اوائلها
وهي على التحقيق اول الطريقة وما قبل ذلك كالدهليز للسالك اليه ومن اول الطريق
تبتدئ المكاشفات والمشاهدات حتى انهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وارواح
الانبياء ويسمعون منهم اصواتا ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة
الصور والامثال الى درجات يضيق عنها نطاق النطق فلا يحاول معبر ان يعبر
عنها الا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه وعلى الجملة ينتهي الامر الى
قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول وطائفة الاتحاد وطائفة الوصول وكل ذلك
خطأ وقد بينا وجه الخطأ فيه في كتاب المقصد الاسنى بل الذي لابسته تلك
الحالة لا ينبغي ان يزيد على ان يقول شعر وكان ما كان مما لست اذكره فظن خيرا
ولا تسأل عن الخبر وبالجملة فمن لم يرزق منه شيئا بالذوق فليس يدرك من حقيقة
النبوة الا الاسم وكرامات الاولياء هي على التحقيق بدايات الانبياء وكان ذلك اول
حال رسول الله عليه السلام حين اقبل الى جبل حراء حيث كان يخلو فيه بربه ويتعبد
حتى قالت العرب ان محمدا عشق ربه وهذه حالة يتحققها بالذوق من يسلك
سبيلها فمن لم يرزق الذوق فيتيقنها بالتجربة والتسامع ان اكثر معهم الصحبة
حتى يفهم ذلك بقرائن الاحوال يقينا ومن جالسهم استفاد منهم هذا الايمان
فهم القوم لا يشقى جليسهم ومن لم يرزق صحبتهم فليعلم امكان ذلك يقينا

على واعراضي عنهم وعن الالتفات الى قولهم فيقولون هذا أمر سماوي و
ليس له سبب الا عين اصابت اهل الاسلام وزمرة العلم ففارقت بغداد
وفرقت ما كان معي من المال ولم ادخر الا قدر الكفاف وقوت الاطفال
ترخصا بان مال العراق مرصد للمصالح لكونه وقفا على المسلمين فلم أر
في العالم مالا يأخذه العالم لعياله اصلح منه ثم دخلت الشام واقمت به قريبا
من سنتين لا شغل لي الا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا
بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى كما كنت
حصلته من علم الصوفية فكنت اعتكف مدة في مسجد دمشق اصعد
منارة المسجد طول النهار واغلق بابها على نفسي ثم دخلت منها الى بيت
المقدس ادخل كل يوم الصخرة واغلق بابها على نفسي ثم تحركت في داعية
فريضة الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة وزيارة رسول الله تعالى
عليه السلام بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه فسرت الى
الحجاز ثم جذبتني الهمم ودعوات الاطفال الى الوطن فعاودته بعد
ان كنت ابعد الخلق عن الرجوع اليه وآثرت العزلة ايضا حرصا على الخلوة
وتصفية القلب للذكر وكانت حوادث الزمان ومهمات العيال وضرورات
المعاش تغير في وجه المراد وتشوش صفوة الخلوة وكان لا يصفو الحال
الا في اوقات متفرقة لكني مع ذلك لا اقطع طمعي منها فتدفعني عنها
العوائق واعود اليها ودمت على ذلك مقدار عشر سنين وانكشف
لي في اثناء هذه الخلوات امور لا يمكن احصاؤها واستقصاؤها و
القدر الذي اذكره لينتفع به اني علمت يقينا ان الصوفية هم السالكون
لطريق الله تعالى خاصة وان سيرتهم احسن السير وطريقهم اصوب
الطرق واخلاقهم ازكى الاخلاق بل لو جمع عقل العقلاء وحكم الحكماء و

على عالم المحسوسات فلا يوجد منها شيء في عالم الحس ثم يترقى الى طور آخر
فيخلق له العقل فيدرك الواجبات والجائزات والمستحيلات وامورا لا
توجد في الاطوار التي قبله ووراء العقل طور آخر تنفتح فيه عين اخرى يبصر
بها الغيب وما سيكون في المستقبل وامورا أخر العقل معزول عنها كعزل قوة
التمييز عن ادراك المعقولات وكعزل قوة الحس عن مدركات التمييز وكما
ان المميز لو عرض عليه مدركات العقل لاباها واستبعدها فكذلك بعض
العقلاء ابوا مدركات النبوة واستبعدوها وذلك عين الجهل اذ لا مستند
لهم الا انه طور لم يبلغه ولم يوجد في حقه فيظن انه غير موجود في نفسه
والاكمه لو لم يعلم بالتواتر والتسامع الالوان والاشكال وحكي له ذلك
ابتداء لم يفهمها ولم يقر بها وقد قرب الله تعالى على خلقه بان اعطاهم انموذجا
من خاصية النبوة وهو النوم اذ النائم يدرك ما سيكون من الغيب اما
صريحا واما في كسوة مثال يكشف عنه التعبير وهذا لو لم يجربه الانسان من
نفسه وقيل له ان من الناس من يسقط مغشيا عليه كالميت ويزول عنه
احساسه وسمعه وبصره فيدرك الغيب لانكره واقام البرهان على استحالته
وقال القوى الحساسة اسباب الادراك فمن لم يدرك الاشياء مع وجودها
وحضورها فبان لا يدرك مع ركودها اولى واحق وهذا نوع قياس يكذبه
الوجود والمشاهدة فكما ان العقل طور من اطوار الآدمي يحصل فيه
عين يبصر بها انواعا من المعقولات والحواس معزولة عنها فالنبوة ايضا
عبارة عن طور يحصل فيه عين لها نور يظهر في نورها الغيب وأمور
لا يدركها العقل والشك في النبوة اما ان يقع في امكانها او في وجودها
ووقوعها او في حصولها لشخص معين ودليل امكانها وجودها ودليل
وجودها وجود معارف في العالم لا يتصور ان تنال بالعقل لم تدرك

بشواهد البراهين على ما ذكرناه في كتاب عجائب القلب من كتاب احياء علوم الدين والتحقيق بالبرهان علم وملابسة عين تلك الحالة ذوق والقبول من التسامع والتجربة بحسن الظن ايمان فهذه ثلاث درجات (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات) ووراء هؤلاء قوم جهال هم المنكرون لاصل ذلك المتعجبون من هذا الكلام يستمعون و يسخرون ويقولون العجب انهم كيف يهذون وفيهم قال الله تعالى (و منهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم فاصمهم وأعمى ابصارهم) ومما بان لي بالضرورة من ممارسة طريقتهم حقيقة النبوة وخاصيتها ولا بد من التنبيه على أصلها لشدة مسيس الحاجة اليها القول في حقيقة النبوة واضطرار كافة الخلق اليها اعلم ان جوهر الانسان في أصل الفطرة خلق خاليا ساذجا لا خبر معه من عوالم الله تعالى والعوالم كثيرة لا يحصيها الا الله تعالى كما قال (وما يعلم جنود ربك الا هو) وانما خبره من العالم بواسطة الادراك وكل ادراك من الادراكات خلق ليطلع الانسان به على عالم من الموجودات ونعني بالعوالم اجناس الموجودات فاول ما يخلق في الانسان حاسة اللمس فيدرك بها اجناسا من الموجودات كالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة وغيرها و اللمس قاصر عن الالوان والاصوات قطعا بل هي كالمعدوم في حق اللمس ثم يخلق له البصر فيدرك به الالوان والاشكال وهو اوسع عوالم المحسوسات ثم ينفتح له السمع فيسمع الاصوات والنغمات ثم يخلق له الذوق وكذلك الى ان يجاوز عالم المحسوسات فيخلق فيه التمييز وهو قريب من سبع سنين وهو طور آخر من اطوار وجوده فيدرك فيه امورا زائدة

والأخبار يحصل لك العلم الضروري بكونه صلى الله عليه وسلم على أعلى درجات
النبوة وأعضد ذلك بتجربة ما قاله في العبادات وتأثيرها في تصفية القلوب
وكيف صدق في قوله (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم) وكيف صدق
في قوله (من أعان ظالما سلطه الله عليه) وكيف صدق في قوله (من أصبح
وهمومه هم واحد كفاه الله تعالى هموم الدنيا والآخرة) فاذا جربت ذلك
في ألف وألفين وآلاف حصل لك علم ضروري لا تتمارى فيه فمن ذلك
الطريق فاطلب اليقين بالنبوة لا من قلب العصا ثعبانا وشق القمر فان ذلك
اذا نظرت اليه وحده ولم تنضم اليه القرائن الكثيرة الخارجة عن الحصر ربما
ظننت أنه سحر وتخييل وانه من الله اضلال فانه يضل من يشاء ويهدي
من يشاء وترد عليك مسألة المعجزات فان كان مستند ايمانك كلاما
منظوما في وجه دلالة المعجزة فينجزم ايمانك بكلام مرتب في وجه الاشكال و
الشبهة عليها فليكن مثل هذه الخوارق احدى الدلائل والقرائن في جملة
نظرك حتى يحصل لك علم ضروري لا يمكنك ذكر مستنده على التعيين كالذي
يخبره جماعة بخبر متواتر لا يمكنه أن يذكر ان اليقين مستفاد من قول واحد
متعين بل من حيث لا يدري ولا يخرج عن جملة ذلك ولا بتعيين الآحاد
فهذا هو الايمان القوي العلمي وأما الذوق فهو كالمشاهدة والأخذ
باليد ولا يوجد الا في طريق التصوف فهذا القدر من حقيقة النبوة كاف
في الغرض الذي اقصده الآن وسأذكر وجه الحاجة اليه

القول في سبب نشر العلم بعد الاعراض عنه

ثم اني لما واظبت على العزلة والخلوة قريبا
من عشر سنين بان لي في أثناء ذلك على الضرورة من أسباب لا أحصيها
مرة بالذوق ومرة بالعلم البرهاني ومرة بالقبول الايماني ان الانسان خلق
من بدن وقلب وأعني بالقلب حقيقة روحه التي هي محل معرفة الله دون

نجوم فان من يبحث عنها يعلم بالضرورة انها لا يدرك الا بالهام الهي و
توفيق من جهة الله تعالى ولا سبيل اليها بالتجربة فمن الاحكام النجومية ما
لا يقع الا في كل الف سنة مرة فكيف ينال ذلك بالتجربة وكذلك خواص الادوية
فتبين بهذا البرهان ان في الامكان وجود طريق لادراك هذه الامور التي
لا يدركها العقل وهو المراد بالنبوة لان النبوة عبارة عنها فقط بل ادراك
هذا الجنس الخارج عن مدركات العقل احدى خواص النبوة ولها
خواص كثيرة سواها وما ذكرناه قطرة من بحرها انما ذكرناها لان معك انموذجا
منها وهو مدركاتك في النوم ومعك علوم من جنسها في الطب والنجوم وهي
معجزات الانبياء ولا سبيل اليها للعقلاء ببضاعة العقل اصلا واما ما عدا
هذا من خواص النبوة فانما يدرك بالذوق من سلوك طريق التصوف لان
هذا انما فهمته بانموذج رزقته وهو النوم ولولاه لما صدقت به فان كان
للنبي خاصية ليس لك منها انموذج فلا تفهمها اصلا فكيف تصدق بها و
انما التصديق بعد التفهم وذلك الانموذج يحصل في اوائل طريق التصوف
فيحصل به نوع من الذوق بالقدر الحاصل ونوع من التصديق بما لا
يحصل بالقياس اليه فهذه الخاصية الواحدة تكفيك للايمان باصل
النبوة فان وقع لك الشك في شخص معين انه نبي ام لا فلا يحصل اليقين
الا بمعرفة احواله اما بالمشاهدة او بالتواتر والتسامع فانك اذا عرفت
الطب والفقه يمكنك ان تعرف الفقهاء والاطباء بمشاهدة احوالهم
وسماع اقوالهم وان لم تشاهدهم ولا تعجز ايضا عن معرفة كون الشافعي
رحمه الله فقيها وكون جالينوس طبيبا معرفة بالحقيقة لا بالتقليد عن الغير
بان تتعلم شيئا من الفقه والطب وتطالع كتبهما وتصانيفهما فيحصل لك
علم ضروري بحالهما فكذلك اذا فهمت معنى النبوة فاكثر النظر في القرآن

العقل وتصرفه أن عرفنا ذلك ويشهد للنبوة بالتصديق ولنفسه بالعجز عن
درك ما يدرك بعين النبوة وأخذ بايدينا وسلمنا اليها تسليم العميان الى
القائدين وتسليم المرضى المتحيرين الى الاطباء المشفقين والى ههنا مجرى العقل
ومخطاه وهو معزول عما بعد ذلك الا عن تفهيم ما يلقيه الطبيب اليه
فهذه أمور عرفناها بالضرورة الجارية مجرى المشاهدة في مدة الخلوة والعزلة
ثم رأينا فتور الاعتقادات في أصل النبوة ثم في حقيقة النبوة ثم في العمل بما
شرحته النبوة وتحققنا شيوع ذلك بين الخلق فنظرت في أسباب فتور
الخلق وضعف ايمانهم فاذا هي أربعة سبب من الخائضين في علم الفلسفة
وسبب من الخائضين في طريق التصوف وسبب من المنتسبين الى دعوى
التعليم وسبب من معاملة الموسومين بالعلم فيما بين الناس فاني
تتبعت مدة آحاد الخلق أسأل من يقصر منهم في متابعة الشرع وأسأله
عن شبهته وأبحث عن عقيدته وسره وقلت له ما لك تقصر فيها فان
كنت تؤمن بالآخرة ولست تستعد لها وتبيعها بالدنيا فهذه حماقة
فانك لا تبيع الاثنين بواحد فكيف تبيع ما لا نهاية له بايام معدودة
وان كنت لا تؤمن به فانت كافر فدبر نفسك في طلب الايمان وانظر ما
سبب كفرك الخفي الذي هو مذهبك باطنا وهو سبب جرأتك ظاهرا
وان كنت لا تصرح به تجملا بالايمان وتشرفا بذكر الشرع فقائل يقول
هذا أمر لو وجبت المحافظة عليه لكان العلماء أجدر بذلك وفلان من
المشاهير بين الفضلاء لا يصلي وفلان يشرب الخمر وفلان يأكل أموال
الاوقاف وأموال اليتامى وفلان يأكل ادرار السلطان ولا يحترز عن
الحرام وفلان يأخذ الرشوة على القضاء والشهادة وهلم جرا الى أمثاله
وقائل ثان يدعي علم التصوف ويزعم انه قد بلغ مبلغا ترقى عن الحاجة الى

اللحم والدم الذي يشارك فيه الميت والبهيمة وان البدن له صحة بها سعادته ومرض فيه هلاكه وان القلب كذلك له صحة وسلامة ولا ينجو الا من أتى الله بقلب سليم وله مرض فيه هلاكه الابدي الاخروي كما قال تعالى في قلوبهم مرض وان الجهل بالله سم مهلك وان معصية الله بمتابعة الهوى داؤه الممرض وأن معرفة الله تعالى ترياقه المحيي وطاعته بمخالفة الهوى دواؤه الشافي وانه لا سبيل الى معالجته بازالة مرضه وكسب صحته الا بادوية كما لا سبيل الى معالجة البدن الا بذلك وكما ان أدوية البدن تؤثر في كسب الصحة بخاصية فيها لا يدركها العقلاء ببضاعة العقل بل يجب فيها تقليد الاطباء الذين أخذوها من الانبياء الذين اطلعوا بخاصية النبوة على خواص الاشياء فكذلك بان لي على الضرورة أن أدوية العبادات بحدودها ومقاديرها المحدودة المقدرة من جهة الانبياء لا يدرك وجه تأثيرها ببضاعة عقل العقلاء بل يجب فيها تقليد الانبياء الذين أدركوا تلك الخواص بنور النبوة لا ببضاعة العقل وكما ان الادوية تركبت من النوع والمقدار فبعضها ضعف البعض في الوزن والمقدار فلا يخلو اختلاف مقاديرها عن سر هو من قبيل الخواص فكذلك العبادات التي هي ادوية داء القلوب مركبة من أفعال مختلفة النوع والمقدار حتى ان السجود ضعف الركوع وصلاة الصبح نصف صلوة العصر في المقدار فلا يخلو عن سر من الاسرار هو من قبيل الخواص التي لا يطلع عليها الا بنور النبوة فقد تحامق وتجاهل جدا من اراد ان يستنبط بطريق العقل لها حكمة أو ظن انها ذكرت على الاتفاق لا عن سر الهي فيها يقتضيها بطريق الخاصية وكما ان في الادوية أصولا هي أركانها وزوائد هي متمماتها لكل واحد منها خصوص تأثير في أعمال أصولها كذلك النوافل والسنن متممات لتكميل آثار أركان العبادات وعلى الجملة فالانبياء اطباء أمراض القلوب وانما فائدة

إيمان من يدعي الإيمان منهم وقد انخلع بهم جماعة وزادهم انخلاعاً ضعف
اعتراض المعترضين عليهم إذا اعترضوا بأحاديث علم الهندسة والمنطق
وغير ذلك مما هو ضروري لهم على ما نبهنا عليه من قبل فلما رأيت أصناف
الخلق قد ضعف إيمانهم إلى هذا الحد بهذه الأسباب ورأيت نفسي ملية
بكشف هذه الشبهة حتى كان افتضاح هؤلاء أيسر عندي من شربة
ماء لكثرة خوضي في علومهم أعني الصوفية والفلاسفة والتعليمية والمترسمين
من العلماء انقدح في نفسي أن ذلك متعين في هذا الوقت محتوم فماذا
تغنيك الخلوة والعزلة وقد عم الداء ومرض الأطباء وأشرف الخلق على
الهلاك ثم قلت في نفسي ومتى تستقل أنت بكشف هذه الغمة ومصادمة
هذه الظلمة والزمان زمان الفترة والدور دور الباطل ولو اشتغلت
بدعوة الخلق عن طرقهم إلى الحق لعاداك أهل الزمان بأجمعهم وأنى
تقاومهم فكيف تعايشهم ولا يتم ذلك إلا بزمان مساعد وسلطان متدين
قاهر فترخصت بيني وبين الله تعالى بالاستمرار على العزلة تعللاً بالعجز
عن إظهار الحق بالحجة فقدر الله تعالى أن حرك داعية سلطان الوقت
من نفسه لا بتحريك من خارج فأمر أمر إلزام بالنهوض إلى نيسابور لتدارك
هذه الفترة وبلغ الإلزام حداً كان ينتهي لو أصررت على الخلاف إلى حد
الوحشة فخطر لي أن سبب الرخصة قد ضعف فلا ينبغي أن يكون باعثك
على ملازمة العزلة الكسل والاستراحة وطلب عز النفس وصونها عن أذى
الخلق ولم ترخص نفسك بعسر مقاساة الخلق والله تعالى يقول بسم الله
الرحمن الرحيم الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون
ولقد فتنا الذين من قبلهم الآية ويقول عز وجل لرسوله وهو أعز خلقه
ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم

العبادة وقائل ثالث يتعلل بشبهة اخرى من شبهات أهل الاباحة وهؤلاء هم الذين ضلوا عن طريق التصوف وقائل رابع لقي اهل التعليم فيقول الحق مشكل والطريق اليه منسد والاختلاف فيه كثير وليس بعض المذاهب أولى من البعض وادلة العقول متعارضة فلا ثقة برأي أهل الرأي والداعي الى التعليم متحكم لا حجة له فكيف أدع اليقين بالشك وقائل خامس يقول لست أفعل هذا تقليدا ولكني قرأت علم الفلسفة وادركت حقيقة النبوة وان حاصلها يرجع الى الحكمة والمصلحة وان المقصود من تعبداتها ضبط عوام الخلق وتقييدهم عن التقاتل والتنازع والاسترسال في الشهوات فما انا من العوام الجهال حتى ادخل في حجر التكليف وانما أنا من الحكماء اتبع الحكمة وانا بصير بها مستغن فيها عن التقليد هذا منتهى ايمان من قرأ مذهب فلسفة الالهيين منهم وتعلم ذلك من كتب ابن سينا وابي نصر الفارابي وهؤلاء هم المتجملون منهم بالاسلام وربما ترى الواحد منهم يقرأ القرآن ويحضر الجماعات والصلوات ويعظم الشريعة بلسانه ولكنه مع ذلك لا يترك شرب الخمر وأنواعا من الفسق والفجور واذا قيل له ان كانت النبوة غير صحيحة فلم تصلي فربما يقول رياضة الجسد وعادة أهل البلد وحفظ المال والولد وربما قال الشريعة صحيحة والنبوة حق فيقال فلم تشرب الخمر فيقول انما نهي عن الخمر لانها تورث العداوة والبغضاء وانا بحكمتي محترز عن ذلك وانما أقصد به تشحيذ خاطري حتى ان ابن سينا ذكر في وصية له كتب فيها انه عاهد الله تعالى على كذا وكذا وان يعظم الاوضاع الشرعية ولا يقصر في العبادات الدينية والبدنية ولا يشرب تلهيا بل تداويا وتشافيا فكان منتهى حالته في صفاء الايمان والتزام العبادات ان استثنى شرب الخمر لغرض التشفي فهذا

ويريني الباطل باطلا ويرزقني اجتنابه ونعود الآن الى ما ذكرناه من اسباب
ضعف الايمان بذكر طريق ارشادهم وانقاذهم من مهالكهم اما الذين ادعوا
الحيرة بما سمعوه من أهل التعليم فعلاجه ما ذكرناه في كتاب القسطاس المستقيم
ولا نطول بذكره في هذه الرسالة وأما ما توهمه أهل الاباحة فقد حصرنا
شبههم في سبعة أنواع وكشفناها في كتاب كيمياء السعادة واما من فسد
ايمانه بطريق الفلسفة حتى انكر أصل النبوة فقد ذكرنا حقيقة النبوة ووجودها
بالضرورة بدليل وجود علم خواص الادوية والنجوم وغيرهما وانما قدمنا
هذه المقدمة لاجل ذلك وانما أوردنا الدليل من خواص الطب والنجوم لانه
من نفس علمهم ونحن نبين لكل عالم بفن من العلوم كالنجوم والطب والطبيعة
والسحر والطلسمات مثلا من نفس علمه برهان النبوة وأما من اثبت
النبوة بلسانه وسوى أوضاع الشرع على الحكمة فهو على التحقيق كافر بالنبوة
وانما هو مؤمن بحكيم له طالع مخصوص يقتضي طالعه ان يكون متبوعا
وليس هذا من النبوة في شيء بل الايمان بالنبوة ان يقر باثبات طور وراء
العقل تنفتح فيه عين يدرك بها مدركات خاصة والعقل معزول عنها
كعزل السمع عن ادراك الالوان والبصر عن ادراك الاصوات وجميع
الحواس عن ادراك المعقولات وان لم يجوز هذا فقد أقمنا البرهان على
امكانه بل على وجوده فان جوز هذا فقد أثبت ان ههنا امورا تسمى خواص
لا يدور تصرف العقل حواليها اصلا بل يكاد العقل يكذبها ويقضي باستحالتها
فان وزن دانق من الافيون سم قاتل لانه يجمد الدم في العروق لفرط برودته
والذي يدعي علم الطبيعة يزعم أن ما يبرد من المركبات انما يبرد بعنصري
الماء والتراب فهما العنصران الباردان ومعلوم ان ارطالا من الماء والتراب
لا يبلغ تبريدها في الباطن الى هذا الحد فلو أخبر طبيعي بهذا ولم يجربه لقال

نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين) ويقول عز وجل
(بسم الله الرحمن الرحيم يس والقرآن الحكيم الى قوله (انما تنذر من اتبع الذكر)
فشاورت في ذلك جماعة من أرباب القلوب والمشاهدات فاتفقوا على
الاشارة بترك العزلة والخروج من الزاوية وانضاف الى ذلك منامات من
الصالحين كثيرة متواترة تشهد بان هذه الحركة مبدأ خير ورشد قدرها
الله سبحانه على رأس هذه المائة وقد وعد الله سبحانه باحياء دينه على رأس
كل مائة فاستحكم الرجاء وغلب حسن الظن بسبب هذه الشهادات ويسر
الله تعالى الحركة الى نيسابور للقيام بهذا المهم في ذي القعدة سنة تسع وتسعين
واربعمائة وكان الخروج من بغداد في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين واربع
مائة وبلغت مدة العزلة احدى عشر سنة وهذه حركة قدرها الله تعالى
وهي من عجائب تقديراته التي لم يكن لها انقداح في القلب في هذه العزلة
كما لم يكن الخروج من بغداد والنزوع عن تلك الاحوال مما يخطر امكانه
أصلا بالبال والله تعالى مقلب القلوب والاحوال (وقلب المؤمن بين
أصبعين من اصابع الرحمن) وانا أعلم اني وان رجعت الى نشر العلم فما
رجعت فان الرجوع عود الى ما كان وكنت في ذلك الزمان انشر العلم الذي
به يكسب الجاه وادعو اليه بقولي وعملي وكان ذلك قصدي ونيتي واما
الآن فادعو الى العلم الذي به يترك الجاه ويعرف به سقوط رتبة الجاه هذا
هو الآن نيتي وقصدي وامنيتي يعلم الله ذلك مني وانا ابتغي ان اصلح نفسي
وغيري ولست ادري أأصل الى مرادي ام أخترم دون غرضي ولكني أومن
ايمان يقين ومشاهدة أنه لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واني لم
اتحرك لكنه حركني واني لم اعمل لكنه استعملني فاسأله ان يصلحني اولا ثم
يصلح بي ويهديني ثم يهدي بي وان يريني الحق حقا ويرزقني اتباعه و

والظهر بأربع والمغرب بثلاث هي لخواص غير معلومة بنظر الحكمة وسببها
اختلاف هذه الأوقات وربما تدرك هذه الخواص بنور النبوة والعجب
أنا لو غيرنا العبارة إلى عبارة المنجمين لعقلوا اختلاف هذه الأوقات
فنقول أليس يختلف الحكم في الطالع بأن تكون الشمس في وسط السماء
أو في الطالع أو في الغارب حتى يبنوا على هذا في تسييراتهم واختلاف
العلاج وتفاوت الأعمار والآجال ولا فرق بين الزوال وبين كون
الشمس في وسط السماء ولا بين المغرب وبين كون الشمس في الغارب
فهل لتصديقه سبب إلا أنه يسمعه بعبارة منجم لعله جرب كذبه مائة مرة ولا يزال يعاود تصديقه
حتى لو قال المنجم إذا كانت الشمس في وسط السماء ونظر إليها الكوكب
الفلاني والطالع هو البرج الفلاني فلبست ثوبا جديدا في ذلك الوقت
قتلت في ذلك الثوب فإنه لا يلبس الثوب في ذلك الوقت وربما يقاسي
فيه البرد الشديد وربما سمعه من منجم قد عرف كذبه مرات فليت شعري
من يتسع عقله لقبول هذه البدائع ويضطر إلى الاعتراف بأنها خواص
معرفتها معجزة لبعض الأنبياء كيف ينكر مثل ذلك فيما يسمعه من قول
نبي صادق مؤيد بالمعجزات لم يعرف قط بالكذب وإن نظر في ممكنات
هذه الخواص في أعداد الركعات ورمي الجمار وعدد أركان الحج وسائر
تعبدات الشرع لم يجد بينها وبين خواص الأدوية والنجوم فرقا أصلا
فإن قال قد جربت شيئا من النجوم وشيئا من الطب فوجدت بعضه
صادقا فانقدح في نفسي تصديقه وسقط من قلبي استبعاده ونفرته
وهذا لم أجربه فبم أعلم وجوده وتحققه وإن أقررت بإمكانه فأقول
إنك لا تقتصر على تصديق ما جربته بل سمعت أخبار المجربين وقلدتهم

هذا محال والدليل على استحالة الذات فيه نارية وهوائية والهوائية والنارية لا تزيد برودة فتقلب الكل ماء وترابا فلا يوجب هذا الافراط في التبريد فان انضم البخارات فبان لا يوجب أولى وبقدر هذا برهانا وأكثر براهين الفلاسفة في الطبيعيات والالهيات مبنى على هذا الجنس فانهم تصوروا الامور على قدر ما وجدوه وعقلوه وما لم يألفوه قدروا استحالته ولو لم تكن الرؤيا الصادقة مألوفة وادعى مدع أنه عند ركود الحواس يعلم الغيب لأنكره المتصرفون بمثل هذه العقول ولو قيل لواحد هل يجوز أن يكون في الدنيا شئ هو مقدار حبة يوضع في بلدة فيأكل تلك البلدة بجملتها ثم يأكل نفسه فلا يبقى شئ من البلدة وما فيها ولا يبقى هو في نفسه لقال هذا محال وهو من جملة الخرافات وهذه حالة النار وينكرها من لم ير النار اذا سمعها وأكثر عجائب الآخرة هو من هذا القبيل فنقول للطبيعي قد اضطررت الى ان تقول في الافيون خاصية في تبريده على قياس المعقول بالطبيعة فلم لا يجوز أن يكون في الاوضاع الشرعية من الخواص في مداواة القلوب وتصفيتها ما لا يدرك بالحكمة العقلية بل لا يبصر ذلك الا بعين النبوة بل قد اعترفوا بخواص هي أعجب من هذا فيما أوردوه في كتبهم وهي من الخواص العجيبة المجربة في معالجة الحامل التي عسر عليها الطلق بهذا الشكل (٨) يكتب على خرقتين لم يصبهما الماء وتنظر اليهما الحامل بعينها وتضعهما تحت قدميها فيسرع الولد في الحال الى الخروج قد أقروا بامكان ذلك وأوردوه في كتاب عجائب الخواص وهو شكل فيه بيوت يرقم فيها رقوم مخصوصة يكون مجموع ما في جدول واحد خمسة عشر قرأته في طول الشكل أو في عرضه أو على التأريب فيا ليت شعري من يصدق بذلك ثم لم يتسع عقله للتصديق بان تقدير صلاة الصبح بركعتين

خرقتين

تعرف ذلك بالعيان وهذا القدر يكفي في تنبيه المتفلسفة ذكرناه لشدة الحاجة
اليه في هذا الزمان وأما السبب الرابع وهو ضعف الايمان بسبب سوء
سيرة العلماء فتداوى هذا المرض بثلاثة أمور أحدها ان تقول ان
العالم الذي تزعم انه يأكل الحرام معرفته بتحريم ذلك الحرام كمعرفتك بتحريم الخمر
والربا بل بتحريم الغيبة والكذب والنميمة وانت تعرف ذلك وتفعله لا لعدم
ايمانك بانه معصية بل لشهوتك الغالبة عليك فشهوته كشهوتك وقد
غلبته كما غلبتك فعلمه بمسائل وراء هذا يتميز به عنك لا يناسب زيادة
زجر عن هذا المحظور المعين وكم من مؤمن بالطب لا يصبر عن الفاكهة
وعن الماء البارد وان زجره الطبيب عنه ولا يدل ذلك على انه غير ضار
او على ان الايمان بالطب غير صحيح فهذا محمل هفوة العلماء الثاني ان يقال
للعامي ينبغي ان تعتقد ان العالم اتخذ علمه ذخر النفس في الآخرة ويظن
ان علمه ينجيه ويكون شفيعا له حتى يتساهل معه في أعماله لفضيلة علمه
وان جاز أن يكون زيادة حجة عليه فهو يجوز ان يكون زيادة درجة له وهو
هو ممكن فهو وان ترك العمل يدلي بالعلم واما انت ايها العامي اذا نظرت
اليه وتركت العمل وأنت عن العلم عاطل فتهلك بسوء عملك ولا شفيع
لك الثالث وهو الحقيقة ان العالم الحقيقي لا يقارف معصية الا على
سبيل الهفوة ولا يكون مصرا على المعاصي أصلا اذ العلم الحقيقي ما يعرف به
ان المعصية سم مهلك وان الآخرة خير من الدنيا ومن عرف ذلك لا يبيع
الخير بما هو أدنى منه وهذا العلم لا يحصل بأنواع العلوم التي يشتغل بها اكثر
الناس فلذلك لا يزيدهم ذلك العلم الا جرأة على معصية الله تعالى واما
العلم الحقيقي فيزيد صاحبه خشية وخوفا وذلك يحول بينه وبين المعاصي
الا الهفوات التي لا ينفك عنها البشر في الفترات وتلك لا يدل على

بدأ رفـ

فاسمع أقوال الاولياء فقد جربوا وشاهدوا والحق في جميع ما ورد به
الشرع واسلك سبيلهم تدرك بالمشاهدة بعض ذلك على انى اقول و
ان لم تجربه فيقضى عقلك بوجوب التصديق والاتباع قطعا فانا لو
فرضنا رجلا بلغ وعقل ولم يجرب المرض فمرض وله والد مشفق حاذق
بالطب يسمع دعواه معرفة الطب منذ عقل فعجن له والده دواء فقال
هذا يصلح لمرضك ويشفيك من سقمك فماذا يقتضيه عقله وان كان
الدواء مرا كريه المذاق أيتناول أو يكذب ويقول انا لا أعقل مناسبة
هذا الدواء لتحصيل الشفاء ولم أجربه فلا شك انك تستحمقه ان فعل
ذلك وكذلك يستحمقك أهل البصائر في توقفك فان قلت فبم اعرف
شفقة النبي عليه السلام ومعرفته بهذا الطب فأقول وبم عرفت شفقة
أبيك وليس ذلك امرا محسوسا لكن عرفته بقرائن احواله وشواهد
أعماله في مصادره وموارده علما ضروريا لا تتمارى فيه ومن نظر في
أقوال رسول الله عليه السلام وما ورد من الاخبار في اهتمامه بارشاد
الخلق وتلطفه في حق الناس بانواع الرفق واللطف الى تحسين الاخلاق
واصلاح ذات البين وبالجملة الى ما يصلح به دينهم ودنياهم حصل
له علم ضروري بان شفقته على امته أعظم من شفقة الوالد على ولده و
اذا نظر الى عجائب ما ظهر عليه من الافعال والى عجائب الغيب الذى
اخبر عنه في القرآن على لسانه وفي الاخبار الى ما ذكره في آخر الزمان و
ظهور ذلك كما ذكره علم علما ضروريا انه بلغ الطور الذى وراء العقل
وانفتحت له العين التى ينكشف منها الغيب الذى لا يدركه الا
الخواص والامور التى لا يدركها العقل فهذا هو منهاج تحصيل العلم
الضروري بتصديق النبي عليه السلام فجرب وتأمل القرآن وطالع الاخبار

الرسالة الثالثة
كتاب المضنون به على غير أهله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على موجب مواهبه [illegible] ونعماء الله [illegible] القلوب [illegible]
على [illegible] من [illegible] الا [illegible]
الأخيار [illegible] وسر [illegible]
صناعة [illegible]
فمن صار ممن لا يعرف [illegible]
التهادي [illegible] أجل [illegible] الكتاب [illegible] أهله
لمعرفة بعض حقائق الأشياء التي كانت [illegible]
عليه السلام حيث قال أرنا الأشياء كما هي وهذا الكتاب المضنون به على
غير أهله يشتمل على أربعة أركان الركن الأول في معرفة الربوبية
الركن الثاني في معرفة الملائكة الركن الثالث في حقائق المعجزات
الركن الرابع في معرفة ما بعد الموت والانتقال من الدنيا الى العقبى
وفقنا الله تعالى لما يرضى ويحب فانه خير موفق ومعين واليه المرجع
والمصير الركن الأول في قسم الربوبية فصل ان ما لا يكون

ضعف الايمان فانه من فتن ثواب وهو بعيد عن الاسرار و
الالباب فهذا ما اردت ان اذكره في ذم الفلسفة والتعليم وآفاتها
وآفات من انكر عليهم ما لابطريقه ونسأل الله العظيم ان
يجعلنا ممن آثره واجتباه وارشده الى الحق وهداه
والهمه ذكره حتى لاينساه وعصمه من شر نفسه
حتى لم يؤثر عليه سواه واستخلصه
لنفسه حتى لايعبد
الا اياه

تم

د	ط	ب
ج	ه	ز
ح	ا	و

٤	٩	٢
٣	٥	٧
٨	١	٦

الكل من ذاته فكما ان تعقله ذاته لا يجوز ان يتغير كذلك تعقله لكل ما توجبه ذاته ولكل ما يعقل وجوده من ذاته لا يتغير بل يجب وجود كل ذلك وجود انواع الحيوانات وبقاؤها متعقل لا شك فيه خصوصا النوع الانساني و النوع انما يبقى مستحفظا بالاشخاص وبلوغ كل شخص الى الغاية التي يمكن ان يولد شخصا آخر مثله لا يمكن الا ببقائه مدة وبقاؤه تلك المدة لا يصح الا بما فيه قوام الحياة وقوام الحياة بالرزق لانه تعالى يعقل وجود الكل من ذاته ووجود ما يعقله من ذاته واجب ونعقل بقاء النوع الانساني ببقاء الاشخاص وتناسلهم وتعقل تناسلهم ببقاء كل شخص وتعقل بقاء كل شخص مدة بما فيه قوام حياته وهو الرزق والرزق انما يكون من النبات والحيوان وهما الخبز واللحم والفواكه من جملة النبات واكثر الحلاوى فوجب ان يكون الرزق مضمونا بتقدير الرؤف الرحيم لذلك قال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون فصل من لا يعرف حقيقة الرؤيا لا يعرف حقائق اقسام الرؤيا ومن لا يعرف حقيقة رؤيا الرسول عليه السلام وسائر الرسل بل رؤيا الذين ماتوا لا يعرف رؤيا الله تعالى في المنام والعامي يتصورون من رأى رسول الله في المنام فقد رأى حقيقة شخصه وكان المعنى الذي وقع في النفس حاكى الخيال عنه بلفظ فكذلك كل نقش ارتسم في النفس يمثل الخيال المصورة ولا أدري انه كيف يتصور رؤية شخص الرسول في المنام وشخصه موضوع في روضة المدينة وما شق القبر وما خرج الى موضع يراه النائم ولئن سلمنا ذلك في ساعة في ليلة واحدة الف نائم في الف موضع على صور مختلفة والوهم يشهد العقل فانه لا يمكن تصور شخص واحد في حالة واحدة في مكانين ولا على صورتين طويل وربع وشاب وكهل وشيخ ومن لا يختبط معرفته بفساد هذا

محدود او خلق الزمان في الزمان أمر محال فاليوم هو الكون الحادث
في اللغة وايام الله حيث قال وذكرهم بأيام الله مراتب مخلوقاته ومصنوعاته
ومبدعاته من وجوه منها قوله في اربعة أيام فيوم مادة السماء ويوم
صورتها ويوم كواكبها ويوم نفوسها وقوله خلق الارض في يومين المادة
والصورة ومادة السموات ومادة بروجها صورة واحدة ومادة
الارض مادة مشتركة بين أزواج ونخول وهي أخس لانها مثل مومسة
تقبل كل ناكح (ومنها) الجماد والمعدنيات داخلة في الجماد والنبات في الحيوانات
العجم والانسان (ومنها) الارض والماء والهواء والنار والآثار العلوية
والاجرام السماوية كل ما هو فوق الارض فهو سماء من طريق اللغة
لان اهل اللغة تقول كل ما علاك فهو سماؤك وكل ما دونه الفلك يعني
فلك القمر بالنسبة الى الافلاك أرض لقوله ومن الارض مثلهن الاولى
كرة النار والثانية كرة الهواء والثالثة كرة الطين المجفف الذي فوق الماء
والرابعة الماء والخامسة الارض البسيطة والسادسة الممتزجات
من هذه الاشياء والسابعة الآثار العلوية **فصل** فليرتقوا في الاسباب
الارتقاء صعود الأخس الى الاشرف حتى ينتهي الى واجب الوجود كما
قال تعالى وان الى ربك المنتهى وقوله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل
للكتب وقوله تعالى أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما الاول
انطباق فلك البروج على معدل النهار والفتق بعد الرتق ظهور الميل
فصل الرزق مقدر مضمون وهو من المعقولات لا من المنقولات
لان الحق تعالى يعقل ذاته وما توجبه ذاته فهو قد يعقل جميع الموجودات
وان كان بالقصد الثاني وانما يوجب وجود كل واحد منها أعني
من الموجودات المبدعات على ما وجد لانه سبحانه وتعالى يعقل وجود

فان العقل معنى لا يماثله غيره ولنا أن نصور الشمس له مثالا لما بينهما
من المناسبة في شئ واحد وهو ان المحسوسات تنكشف بنور الشمس كما
تنكشف المعقولات بالعقل فهذا القدر من المناسبة كاف في المثال بل
السلطان يمثل في النوم بالشمس والقمر بالوزير والسلطان لا يماثل الشمس
بصورته ولا بمعناه ولا الوزير يماثل القمر الا ان السلطان له استيلاء
على الكافة ويعم اثره الجميع والشمس تناسبه في هذا القدر والقمر واسطة
بين الشمس والارض في افاضة اثر النور كما ان الوزير واسطة بين
السلطان والرعية في افاضة اثر العدل فهذا مثال [illegible] بمثل [illegible]
تعالى قال (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح)
فاي مماثلة بين نوره وبين الزجاجة والمشكاة والشجرة [illegible]
تعالى (انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها [illegible]
رابيا) الآية فكذلك سبيلك في القرآن متفرقا [illegible]
صار الماء مثالا [illegible] عرضت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم [illegible] اللبن او [illegible] الاسلام [illegible]
الى امثال لا تحصى واى مماثلة بين [illegible] الاسلام [illegible]
الا في مناسبة وهو ان الحبل يتمسك به للنجاة والقرآن [illegible]
[illegible] الحياة الظاهرة والا [illegible]
تعلمنا الامثال ولنبحث [illegible]
لا تمثل المرتقى لذا امثلة [illegible] للمناسبة [illegible]
فانا اذا عرفنا المستر [illegible]
وكيف يريدها وكيف يتكلم وكيف يقوم الكلام بنفسه [illegible]
بالاصوات ولولا ان الانسان عرف من نفسه هذه الصفات لما فهم

التصور فقد اقنع من عزيزة العقل بالاسم والرسم دون الحقيقة والمعنى
لا ينبغي ان يعاتب بل لا ينبغي ان يخاطب فالعلم يقول ما يراه مثال لا شخص
ويقال هو مثال شخص او مثال حقيقة روحه المقدسة عن الصورة والشكل
فان قال هو مثال شخصه الذي هو عظمه ولحمه فاي حاجة الى شخصه وشخصه
في نفسه متخيل ومحسوس ثم من راى شخصه بعد الموت دون الروح
فكانه ما راى النبي بل راى جسما كان يتحرك بتحريك النبي عليه الصلاة والسلام
فكيف يكون رائيا له برؤية مثال شخصه بل الحق انه مثال روحه المقدسة التي
هي محل النبوة فما رآه من الشكل ليس هو روح النبي ولا جوهره ولا شخصه
بل مثاله على التحقيق فان قيل فاي معنى لقوله عليه الصلاة والسلام من رآني
في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي قلنا لا معنى له الا ان ما رآه
مثال واسطة بين النبي وبينه من تعريف الحق اياه فكان جوهر النبوة اعني
الروح المقدسة الباقية من النبي بعد وفاته منزهة عن اللون والشكل
والصورة ولكن تنتهي تعريفاته الى الاعبد بواسطة مثال صادق ذي شكل ولون
وصورة واذا كان جوهر النبوة منزها عن ذلك فكذلك ذات الله منزه
عن الشكل والصورة ولكن تنتهي تعريفاته الى العبد بواسطة مثال محسوس
من نور او غيره من الصور الجميلة التي تصلح ان تكون مثالا للجمال المعنوي
الحقيقي الذي لا صورة له ولا لون ويكون ذلك المثال صادقا وحقا وواسطة
في التعريف فيقول النائم رأيت الله تعالى في المنام لا بمعنى اني رأيت ذاته
كما يقول رأيت النبي لا بمعنى اني رأيت ذات النبي وروحه او ذات شخصه
بل بمعنى انه رأى مثاله فان قيل انه له مثل والله تعالى الامثال له قلنا
هذا جهل بالفرق بين المثل والمثال فليس المثال عبارة عن المثل فالمثل
عبارة عن المساوي في جميع الصفات والمثال لا يحتاج فيه الى المساواة

وكذلك قوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا واذا لم يكن ذلك استحالة التغير في ذات
الملك وانقلابا بل يبقى جبريل على حقيقته وصفته وان ظهر للنبي في صورة
دحية الكلبي فلا يستحيل مثل ذلك في حق الله تعالى في يقظة ولا في منام
فهذا انما يدل من جهة الخبر على جواز الاطلاق وقد ورد عن السلف اطلاق
ذلك ونقلت فيه آثار واخبار ولو لم يرد فيه الاطلاق لكنا نقول يجوز اطلاق
كل لفظة في حق الله تعالى صادقة لا منع منه ولا تحريم اذا كان لا يوهم
الخطأ عند المستمع وهذا لا يوهم رؤية الذات عند الاكثرين لكثرة
تداول الامثال فان فرض شخص توهم عنده خلاف الحق فلا ينبغي ان
يطلق معه القول بل يفسر له معناه كما يجوز ان تقول انا نحب الله تعالى او
نشتاق اليه ونريد لقاءه وقد سبق الى فهم قوم من هذه الاطلاقات خيالات
فاسدة والاكثرون يفهمون معناه على وجه من غير خيال فاسد فيراعي
في هذه الاطلاقات حال خيال المخاطب فيجوز الاطلاق من غير كشف
ولا تفسير حيث لا ايهام ويجب الكشف عند الايهام وعلى الجملة هذا
يرد الخلاف الى اطلاق اللفظ وجوازه بعد حصول الاتفاق على لفظ المعنى
من ان ذات الله تعالى مرئية وان المرئي مثال ونحن من ظن استحالة
المثال في حق الله تعالى خطأ بل نضرب لله تعالى ولصفاته الامثال و
ننزهه عن المثل لا ننزهه عن المثال ولله المثل الاعلى **فصل** قوله تعالى
قل هو الله احد فرق بين الواحد والاحد قال الله تعالى والهكم اله
واحد فيقال الانسان شخص واحد وصنف واحد والمراد به انه جملة
هي جملة واحدة ويقال الف واحد فالواحد المشار اليه من طريق العقل
والحس هو الذي يمتنع فهو مرعت وقوع الشركة فيه والاحد هو الذي
لا تركيب فيه ولا جزء له بوجه من الوجوه فالواحد نفي الشريك والمثل

مثاله في حق الله تعالى فالمثال في حق الله تعالى جائز والمثل باطل فان المثال
هو ما يوضح الشئ والمثل ما يشابه الشئ فان قيل هذا التحقيق الذي ذكرتموه
ليس يفضي الى ان الله تعالى يرى في المنام بل الى ان الرسول أيضا لا يرى وان
المرئي مثاله لا عينه فقوله من رآني في المنام فقد رآني فهو نوع تجوز معناه
كانه رآني وما سمع من المثال كانه سمع مني قلنا وهذا ما يريده القائل بقوله
رأيت الله تعالى في المنام لا غير أما ان يريد به انه رأى ذاته على ما هو عليه فلا فانه
حصل الاتفاق على ان ذات الله تعالى لا ترى وان مثالا يعتقده النائم ذات
الله تعالى أو ذات النبي يجوز ان يرى وكيف ينكر ذلك مع وجوده في المنامات
فان لم يره بنفسه فقد تواتر اليه من جماعة انهم رأوا ذلك الا ان المثال المعتقد
قد يكون صادقا وقد يكون كاذبا ومعنى الصادق ان الله تعالى جعل رؤياه
واسطة بين الرائي وبين النبي في تعريف بعض الامور وفي قدرة الله تعالى
خلق مثل هذه الواسطة بين العبد وبين اتصال الحق به وهو موجود فكيف
يمكن انكاره فان قيل اذا كانت رؤية الرسول تجوزا فالتجوز مما قد اذن
في اطلاقه في حقه ولا يجوز في حق الله تعالى من الاطلاقات الا ما ورد الاذن
به قلنا قد ورد الاذن باطلاق ذلك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال رأيت ربي في أحسن صورة وهذا انما ورد في الاخبار التي وردت
في اثبات الصورة لله تعالى حيث قال ان الله خلق آدم على صورته وليس
المراد به صورة الذات اذ الذات لا صورة لها الا من حيث التجلي بالمثال كما
تجلى جبريل في صورة دحية الكلبي وفي غيرها من الصور حتى انه رآه
مرارا كثيرة وما رآه في صورته الحقيقية الا مرة أو مرتين وتمثل جبريل في
صورة دحية الكلبي ليس بمعنى انه انقلب ذات جبريل صورة دحية الكلبي
بل انه ظهرت تلك الصورة للرسول مثالا مؤديا عن جبريل ما اوحى اليه

ان العلم والكشف [illegible] يقال لها علوم من حيث ان الالفاظ [illegible] الا
كلام فان الكلام عبارة عن مدلول العبارات ومن حيث انه وجود [illegible]
اتبع لها يقال لها ارادة ولا فرق بينها بين العلم والارادة والكلام فانها
صفة واحدة في نفسها ولا تكون هذه الاعتبارات الثلاث واحدة كما كان
[illegible] بالحد العرفي فلا فرق الا مطلق لصفة فيتعلق هو [illegible]
الى الاعتبارات [illegible] عن تعلق صفة من الاعتبارات
فقد تنقح بعين [illegible] اعتقاد اهل الاسلام والائمة والعلماء في صفات الله
تعالى [illegible] على المثال [illegible] آخر [illegible]
بالكتابة [illegible] الذي وقع لبعض الناس بالمثال [illegible]
اوصاف الله تعالى لا [illegible]
فان المثال يحتاج اليه [illegible] في المعنى المعقول [illegible]
[illegible] توضيحه [illegible] ذلك المعنى المعقول الى فهم المستفيد [illegible] المحسوس فلا
يحتاج الى المثال لان المحسوس [illegible] في الخيال الا [illegible]
المقامة والرئيسة والرجل [illegible] مثال [illegible] والمعنى
المعقول المحض الذي [illegible]
الاستعانة بالخيال حتى يصل الى فهم الضعفاء [illegible] ليس
كمثله شيء ولكن له مثال وقول النبي عليه الصلاة والسلام ان الله خلق آدم
على صورته اشارة الى ان [illegible] الله تعالى [illegible]
بنفسه [illegible] سميعا بصيرا [illegible] والانسان [illegible]
بهذه الاوصاف موصوفا ليعرف الله تعالى ولذلك قال النبي عليه الصلاة
والسلام من عرف نفسه فقد عرف ربه [illegible] الانسان [illegible]
نفسه مثالا لا [illegible] عليه التصديق [illegible] اوحى الله تعالى الى بعض الانبياء

والاحد نفى الكثرة في ذاته وقوله تعالى الله الصمد الصمد الغنى المحتاج اليه
غيره وهذا دليل على ان الله تعالى احدى الذات وواحد لانه لوكان له شريك
في ملكه لما كان صمدا غنيا يحتاج اليه غيره بل كان هو ايضا يحتاج الى
شريكه في المشاركة او التثنية ولو كان له اجزاء تركيب وحد لما كان صمدا
يحتاج اليه غيره بل هو محتاج في تقوامه ووجوده الى اجزاء تركيبه وحده
فالصمدية دليل على الواحدية الاحدية ولم يلد دليل على ان وجوده
المستمر ليس مثل وجود الانسان الذى يبقى نوعه بالتوالد والتناسل
بل هو وجود مستمر ازلى وابدى ولم يولد دليل على ان وجوده ليس مثل
وجود الانسان الذى يحصل بعد العدم ويبقى دائما اما في جنة عالية لا
تفنى واما في هاوية لا تنقطع ولم يكن له كفوا احد دليل على ان الوجود
الحقيقى الذى له تبارك وتعالى وهو الوجود الذى يفيد وجود غيره
ولا يستفيد الوجود من غيره ليس الا له تبارك وتعالى فقوله قل هو الله
احد دليل على اثبات ذاته المنزه المقدس والصمدية نفى واضافة نفى الحاجة
عنه واحتياج غيره اليه والاحدية ولم يلد الى آخر السورة سلب ما يوصف
به غيره تعالى عنه فلا طريق في معرفة ذات الله تعالى ابين واوضح من
سلب صفات المخلوقات عنه فصل يتخيل بعض الناس كثرة في ذات
الله تعالى من طريق تعدد الصفات وقد صح قول من قال في الصفات
لا هو ولا غيره وهذا التخيل يقع من توهم التغاير ولا تغاير في الصفات
مثال ذلك ان الانسان يعلم صورة الكتابة وله علم بصورة بسم الله التى
تظهر تلك الصورة على القرطاس وهذه صفة واحدة وكمالها ان
يكون المعلوم تبعا لها فاذا حصل العلم بتلك الكتابة ظهرت الصورة
على القرطاس بلا حركة يد وواسطة قلم ومداد فصل والصفة من حيث

وافق المريض حتى وافق الطبيب شفي وتخلص وان لم يوفق فخالف تمادى به
المرض وهلك ببقائه وهلاكه عند الطبيب سيان لانه مستغن عن بقائه
ونائه فكما ان الله تعالى خلق للشفاء سببا مفضيا اليه كذلك خلق للسعادة
سببا وهو الطاعات ونهى النفس عن الهوى بالمجاهدة المزكية لها عن
رذائل الاخلاق منجيات ورذائل الاخلاق في الآخرة مهلكات كما ان رذائل
الاخلاط ممرضات في الدنيا ومهلكات والذنوب بالاضافة الى الحياة الآخرة
كالسموم بالاضافة الى حياة الدنيا وللنفوس طب كما ان للاجساد طبا و
الانبياء عليهم الصلاة والسلام اطباء النفوس يرشدون الخلق الى طريق
الفلاح بتمهيد الطريق المزكية للقلوب كما قال الله تعالى قد افلح من زكاها
وقد خاب من دساها ثم يقال ان الطبيب امر بكذا ونهاه عن كذا [illegible] به
وازداد مرضه لانه خالف الطبيب وانه قد صح لانه راعى قانون الطبيب ولم يقصر
في الاحتماء وبالحقيقة لم يتماد مرض المريض بمخالفة الطبيب لغير الحاجة
بل لانه سلك غير طريق الصحة التي امر الطبيب بها فكذلك التقوى هي
الاحتماء الذي ينجي من القلوب [illegible] امراضها وامراض القلوب تفوت
حياة الآخرة كما تفوت امراض الاجساد حياة الدنيا ومثال الآخر ان
ملوك الناس يبعث بعض عبيده الغائب عنه بمال ومركوب ليتهيأ
لقاءه لينال رتبة القرب منه وليبعد بسبب [illegible] الملك عن [illegible]
[illegible] تصميم العزم على ان لا يستخدم [illegible] العبد ان ضيع [illegible]
واهلكه وانفق المال لا في زاد الطريق كان كافرا لنعمة [illegible] مركوب [illegible]
وانفق المال في الطريق متزودا به كان شاكرا لنعمة لا بمعنى انه نال الملك
حظا فانه لم يرد فالانعام عليه وفي تكلفه [illegible] حظا نفسه ولكن [illegible]
سعادة العبد اذا وافق مراد السيد فيه كما [illegible] ان الشاكر [illegible]

عليه الصلاة والسلام أيها الانسان اعرف نفسك تعرف ربك ولذلك
لا يحيط علم الانسان بأخص وصف الله تعالى لانه ليس في المبادءات و
الخلق له مثال وانموذج من ذلك الوصف الخاص وكذلك الاسم الموصوف
الخاص الذي له تعالى لان الانسان انما يسمى النبي بعد معرفته اياه واذا لم
يكن للانسان اليه طريق وانموذج فلا علم له به ولا اسم له عنده ولا علامة
فكيف يعرفه فلذلك لا يعرف الله الا الله يعني أخص وصفه وكنه معرفته
فمن قال ان الانسان حي عالم قادر سميع بصير متكلم والله تعالى كذلك
لا يكون هذا القائل مشبها فان التشبيه اثبات المشاركة في الوصف الاخص
ومن قال ان السواد عرض موجود وهو لون والبياض عرض موجود وهو لون
لا يكون مشبها السواد بالبياض فان الاشتراك في اللونية والعرضية والوجودية
لا يكون تشبيها بينهما فان هذه أوصاف تعمها والموجودات كلها مشتركة
في الوجود العام ولا تماثل بينها وكذلك لا تماثل بين السواد والبياض
مع اشتراكهما في اللونية والعرضية والوجودية فالمثال في حق الله سبحانه جائز
والمثل مستحيل فانا نقول الله تعالى مدبر متصرف في العالم وليس في العالم
مثال ذلك ان أصبع الانسان يحرك ويحركه علمه وارادته وليس فيها العلم
والارادة فيقع التفهيم بسبب ذلك وتصور الضعيف انه كيف يكون مدبر
فاعل في شيء غير مجاور له ولا حال فيه **فصل** تكليف الله تعالى عباده
لا يضاهي تكليف الانسان عبده الاعمال التي يرتبط بها غرضه وما لاحظ
له فيه وما لا يحتاج اليه فلا يكلفه به وتكليف الله تعالى عباده يجري مجرى
تكليف الطبيب المريض فاذا غلبت عليه الحرارة أمره بشرب المبردات
والطبيب غني عن شربه لا يضره مخالفته ولا ينفعه موافقته ولكن
الضرر والنفع يرجعان الى المريض وانما الطبيب هاد ومرشد فقط

من غير أكل والارواء من غير شرب والانشاء من غير مصاحبة وجماع
والانماء من غير رضاع ولكنه قدّر الاسباب والمسببات ولذلك سر
وحكمة لا يعلمها الا الله تعالى والراسخون في العلم وليس هذا محل [illegible] وانما العجب
من هذا التدبير المحكم والنظام المتقن وما يرى من [illegible] الحكمة
فيه عجيب منه لقصور هذا التوالد [illegible] الاعضاء [illegible] والحيوانات
التي هي الطف الحيوانات واقربها الى الانسان مثل الغنم [illegible] و[illegible]
والدجاج وغيرها وكمال النبات ان يصير غذاء [illegible] الذي هو
الحيوان لذلك يقوم بدل ما يتحلل منه [illegible] وهذا كماله
وكذلك نسبة الحيوانات التي [illegible] الى الانسان [illegible]
في جنات عدن كما قال تعالى والملائكة [illegible] عليهم [illegible]
بعض الحيوانات العجم [illegible] البعض [illegible] الضواري
فوائد ومنافع سياسية وطبية يعرفها [illegible]
فمحبت وضع هذه الاشياء على ترتيب النظام الكامل [illegible]
الحكيم كمثل الاعمى الذي دخل دارا فعثر بالاواني [illegible]
فقال لاهل الدار ما انصفتم [illegible] هذه الاواني الى
مواضعها ولم تركوها على الطريق فقيل له [illegible] في مواضعها
انما الاختلال من فقد البصر [illegible]
واضح [illegible] والثلمات [illegible]
شغل المكان فقط فقيل له [illegible]
انما المانع من [illegible] هو الخشم وهي مباحثة اخرى منها ان الله تعالى كيف
يأمر بالشيء وينهى من البحث عنه [illegible]
يجب فاسد فان العمل [illegible]

فهو ... الا ان الله تعالى يستوى عنده كفر الكافر وايمان المؤمن بالاضافة الى جلاله
... ولكنه لا يرضى لعباده الكفر فانه لا يصلح لعباده فانه يشقيهم كما
... يرضى ... هلاك المرضى ... ولا يرضى الملك المستغنى عن
... شقاوة بالبعد عنه ويرضى لهم السعادة بالقرب منه وهو غنى
... ان استجابت ... التكليف فان الطاعات ...
... القلوب ... الا من اتى الله بقلب سليم كما لا
... اى بمزاج معتدل ... قول الطبيب للمريض قد
... وما ينفعك فان وافقتنى فلنفسك وان خالفت فعليها
... فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما
يضل عليها ... ومن اساء فعليها واما العقاب على ترك
... فليس العقاب من الله تعالى غضبا وانتقاما ومثال الله
... عاقبه الله تعالى بعدم الولد ومن ترك ارضاع الطفل
عاقبه بهلاك الولد ومن ترك الاكل والشرب عاقبه بالجوع والعطش ومن
... الم المرض وغضب الله تعالى على عباده ...
الاوهام ... المسببات يتأدى بعضها الى بعض فى الدنيا ...
... بعضها يفضى الى الالام وبعضها الى اللذات ولا ...
... فكذلك نسبة الطاعات والمعاصى الى الالام الاخرة
... السؤال عن انه لم تفضى المعصية الى العقاب كالسؤال
... الى الهلاك ...
على وجه يفعل فيه السم اثرا ينفعل البدن عنه وهو لا ينفك عن البدن
فكذلك الكلام ... لو خلق الله ... لن ...
بخبثها العقائد ...

افعاله تعالى عبث أو الجمع بين المتضادين فعند ذلك لا يرد الشرع به وإن أراد به
ورد قصور الشخص عن ادراكه ولا يستقل بالإحاطة به فهذا ليس بمحال [illegible]
يكون في علم الأطباء منافع في جلب المغناطيس الحديد وإن لم يشاهد منه فوق
[illegible] مخصوصة تحت الجنين [illegible] من الخواص وهذا مما يتوقف عنه العقل
[illegible] انه لا يتوقف في حقيقته ولا يستقل بإدراكه [illegible] علته [illegible]
بالمستحيل وليس [illegible] وكذا العقل محال في [illegible]
النار واخراجه [illegible] قال [illegible] شخصية بشرية [illegible]
من بينهما شيئا آخر [illegible] عليه السلام وأيديها حتى لا يبقى
منهم شيء من غيران ينتقل [illegible]
[illegible] ولا البلا لكنا نقول هذا [illegible] العقل [illegible]
يقبل وهذه صورة النار [illegible] كذا التد[illegible] الحجر
على شكل [illegible] وفرق بين
العبد والجمال [illegible] ليس بما [illegible] لا [illegible]
أما معنى قول الله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون [illegible] الى حشر
أعمى وقد كنت بصيرا فالسؤال قد يطلق ويراد به [illegible] فلانا
فلانا وتوجه عليه سؤاله وقد يطلق ويراد به الاستخبار كما يسأل التلميذ
استاذه والله تعالى لا يتوجه [illegible] السؤال بمعنى الالزام وهو المعنى بقوله لا
يسأل عما يفعل إذ لا يقال له لم فعلت [illegible] ولا [illegible]
فليس كذلك وهو المراد بقوله لم حشرتني أعمى [illegible]
جواب هذه الأسئلة [illegible]
الرتبة الاستقلال [illegible] كباسة لا تنفع فإن
الجهال أوفى [illegible] الخلاص والنجاة منها شعر ولم أر في عيوب الناس شيئا

جازم يعرف بالتقليد المجرد على سبيل التصديق والايمان والمعرفة تحصل
بالبرهان والوصول اليها بالبحث ولم يمنع عن البحث الخلائق كلهم بل الضعفاء
العاجزون عن الاطلاع على حقائق البرهان ومعضلات البحث ومثال
ذلك الطبيب الذي يأمر العليل بشرب الدواء ويمنعه عن البحث عن سبب
كون هذا الدواء شافيا فانه يقصر عنه فهمه ويشق عليه ويعجز عنه ويزداد المرض
بسببه فان وجد على سبيل الندور مريضا ذكيا سالكا منهاج الطب و
علم الاسرار لم يمنعه من البحث ولم ينهه عن ذكر المناسبة بين دوائه وبين
مرضه بل اذا عرف انه ليس يؤمن بمجرد قوله وليس يقلد بمحض التقليد المخصص
بدون الذكاء وما يفهم من اسباب العلة وعلم انه اذا فهم العلة والمناسبة اشتغل
بالعلاج وان لم يكن يفهم اعرض عن التقليد وجب عليه ذكر المناسبة والعلة
ولم يمنع من البحث اذا علم استقلاله به الا ان ذلك نادر في المرضى جدا
الاكثرون يضعفون عن ذلك وكذلك معرفة العلل والاسرار والبحث
عنها في الشرعيات من هذا القبيل واما تسخير البهائم للانسان مثل ان
يمشي خطوات مثلا وينظر الى منتزهات ووجوه حسان فيقال له كيف
استعبد رجلا ويسخرها لاجله بغير وجه الحق اذ كان الرجل الذي فما باله
يجعل احدهما خادمة واتعبها ويجعل الاخرى مخدومة وطلب راحتها
فهذا يجهل بالاغراض والمراتب بل العاقل يعلم ان الكامل ابدا يفدى
بالناقص وان الناقص يفتدي بنفسه لاجل الكامل وهو عين الحكمة وليس فيه
ظلم فان الظلم هو التصرف في ملك الغير والله تعالى لا يصادف لغيره
ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فلا يتصور منه ظلم بل له ان يفعل ما يشاء
في ملكه وملكوته [illegible] الالهي والشرع الحق لا يرد بما ينبو عنه
العقل فان [illegible] العقل فان برهان العقل يدل على استحالة خلق الله

درجة من درجات الايمان يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
فصل كل ما يتولد فلا يستحيل ان يتولد اصلا وما يتولد لا يستحيل ان
يتولد فقوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة انما عنى به الانسان التوالدي
وقوله خلقناكم من تراب يعني به الانسان التولدي وقد تتولد العقارب من
الباذروج ولباب الخبز والحيات من الشعر والنحل من العجل التي تحتها الكسرة
عظامه والبق من الخيل وسام ابرص من القرنبيط والخنافس من البقرة ومن
نوى النبق العقرب الجرارة ومن الشعر الحيات ومن الطين الدود والفار ومن
ما بين اصول القصب الدود والرطوبة الطين ولا سيما في الماء وامثال ذلك كما
ذكر في كتب الطلسمات وغيرها ثم سواء هذا التولد يجيء في عهد التوالد وانطباق
دائرة معدل النهار على فلك البروج بما يلزم منه خراب العالم السفلي وتغيره
للفصول اعني الربيع والصيف والخريف والشتاء فلا يبقى الحرث والنسل كما قال
تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك فخلق الله تعالى آدم من تراب ثم حصل
منه التوالد ونظير ذلك مشاهد وكذا الصنائع والحرف تحصل من خويصة الهام
ثم تستفاد وتتعلم ويحصل الناس من الفلاحة والزراعة ثم تقتبس بتعلمه وانما
ذلك تقدير العزيز العليم الذي جعل عند انفراج الدائرتين معدل النهار و
فلك البروج التي يتزايد الميل الذي خلق بينهما آدم من تراب ثم جعل نسله من
سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه فمن شك في كيفية بدء الخلق
ووضع الصانع الحكيم في التوالد والتولد فلينظر الى المحسوسات التي ذكرناها وانما
النشأة الاخرى وكيفية عود النفوس والارواح الى اشباحها فمذكورة في
بابها فصل المبدعات والمخلوقات احدثها الله تعالى نازلة بالترتيب
فهو الاول الذي لا اول قبله ومنه تنتهي المبدعات بل الممكنات بأسرها
ثم ينزل الترتيب من الاشرف فالاشرف حتى ينتهي الى المادة التي هي اخس

كنقص القادرين على التمام ۞ **فصل** اذا عرفت انك حادث وان الحادث
لا يستغني عن محدث فقد حصل لك البرهان على الايمان بالله وما
أقرب الى العقل هاتين المعرفتين أعني انك حادث وان الحادث لا يحدث
بنفسه واذا عرفت نفسك وانك جوهر خاصيتك معرفة الله ومعرفة ما
ليس بمحسوس ليس البدن من قوام ذاتك فان البدن لا يعدمك
فقد عرفت اليوم الآخر بالبرهان فانه لا معنى له الا ان لك يومين يوم انت حاضر
فيه مشغول بهذا البدن ويوم آخر أنت غير مفارقة لهذا الجسد واذا لم يكن
قوامك بالجسد وقد فارقته بالموت فقد حصل اليوم الآخر واذا عرفت انك
اذا فارقت المحسوسات بمفارقة الجسد تلقيت اما نعمة هي معرفة الله تعالى
التي هي خاصية ذاتك ومنتهى لذاتك بمقتضى طبعك الاصلي لو لم تمرض بالميل
الى الشهوات واما عذابا بالحجاب عن الله تعالى الذي هو منتهى شهوتك من
حيث الطبع الاصلي كما قال تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون وعرفت ان
سبب المعرفة الذكر والفكر والاعراض عن غير الله تعالى وسبب المرض المانع
عن ذكر الله ومعرفته الاقبال على الشهوات والحرص على الدنيا وعرفت ان الله
تعالى قادر على ان يعرف عموم عباده ذلك بواسطة الكشف لبعض خواص عباده
وعرفت انه قد فعل ذلك فقد عرفت رسله بالبرهان وآمنت واذا عرفت
ان هذه التعريفات للانبياء انما تكون في كسوة الفاظ وعبارات توحي اليهم
وتلقى في سمعهم اما في يقظة أو في منام فقد آمنت بالكتب واذا عرفت ان
أفعال الله تعالى منقسمة الى ما فعله بواسطة والى ما فعله بغير واسطة وان
وسائط مختلفة المراتب فالوسائط القريبة هم المقربون وعنهم يعبر بالملائكة
لكن معرفة هذا بطريق البرهان عسير والقول فيه طويل فصدق الرسل
في اخبارهم عنهم بعد ان عرفت صدق الرسل بالبرهان واكتف بذلك فانه

واحد لا ينقسم فان العلم الواحد لا يحل الا في محل واحد وحقيقة الانسان
كذلك فالعلم والجهل بشيء واحد في محل واحد متضادان وفي المحلين غير
متضادين واما ان هل الجوهر غير منقسم وهل هو متحيز أم لا فهذا الكلام
عائد الى معرفة الجزء الذي لا يتجزأ فان استحال الجزء الذي لا يتجزأ فهذا
الجوهر غير منقسم ولا متحيز وان لم يستحل الجزء الذي لا يتجزأ فيمكن ان
يكون هذا الجوهر متحيزا وقد قال قوم لا يجوز ان يكون غير منقسم ولا
متحيز فان الله تعالى غير منقسم ولا متحيز فما الذي يفصل هذا من ذلك
وهذا غير مبرهن عليه لانه ربما تباينا في حقيقة الذات وان سلب عنهما
الانقسام والتحيز والامور المكانية وتلك سلوب والاعتبار بالحقائق لان
السلب عن الحقائق كالعرضين المختلفين الحد والحقيقة الحالين في محل
واحد فان ايجاب احتياجهما الى المحل وكونهما في المحل لا يبعد تماثلهما كذلك
سلب الاحتياج الى المحل والمكان لا يفيد اشتراك الشيئين ويمكن ان تشاهد
هذه الجواهر أعني جواهر الملائكة وان كانت غير محسوسة وهذه المشاهدة
على ضربين اما على سبيل التمثل كقوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا وكما كان النبي
عليه الصلاة والسلام يرى جبريل في صورة دحية الكلبي والقسم الثاني ان
يكون لبعض الملائكة بدن محسوس كما ان نفوسنا غير محسوسة ولها
بدن محسوس هو محل تصرفها في العالم الخاص بها فكذلك بعض الملائكة
وربما كان هذا البدن المحسوس موقوفا على اشراق نور النبوة كما ان محسوسات
عالمنا هذا موقوف عند الادراك على اشراق نور الشمس وكذا في الجن و
الشياطين **فصل** وقوع مزاج قريب من مزاج آخر غير مستحيل فنسبة
نفس مزاج واحد هو قريب الى مزاج آخر الى نفس ذلك المزاج نسبة تقاربية
فان كان للانسان مزاج خاص وله نفس خاصة ثم مات صاحب هذا المزاج

الاشياء ثم ابتدأ تعالى من الاخس متصاعدا الى الاشرف حتى انتهى الى الانسان
وعروج الانسان عند نزاعه نفسه الرحيمة قال ارجعي الى ربك راضية مرضية
ولذلك قال هو الاول والآخر والظاهر والباطن اما الظاهر فهو كونه في غرائز
العقول ان للكل مبدأ وان للحادث محدثا وللممكن موجدا واجبا
اما الباطن فلان وصفه الخاص لا يعرفه الا هو وربما كان باطنا لغاية ظهوره
كان الشمس التي هي في غاية البعد عن هذا المثال ظاهر باهر وبسبب غاية
ظهورها لا تدركها الحاسة المبصرة محاذاة ومقابلة والميزان ما تعرف به
حقائق الاشياء ويميز به صحيح العقيدة من الفاسد وهو الواسطة بين السماء
والارض حيث قال والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان واقيموا
الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان والارض وضعها للانام وذلك الميزان
سر من اسرار الربوبية لا يعرفه الا الراسخون في العلم والله اعلم الركن الثالث

في معرفة الملائكة

الملائكة والجن والشياطين جواهر
قائمة بانفسها مختلفة بالحقائق اختلافا ما يكون بين الانواع مثال ذلك
القدرة فانها مخالفة للعلم والعلم مخالف للقدرة وهما مخالفان اللون و
اللون والقدرة والعلم اعراض قائمة بغيرها فكذلك بين الملك والشيطان
والجن اختلاف ومع ذلك فكل واحد جوهر قائم بنفسه وقد وقع الاختلاف
بين الجن والملك فلا يدرى اهو اختلاف بين النوعين كالاختلاف
بين الفرس والانسان او الاختلاف في الاعراض كالاختلاف بين الانسان
الناقص والكامل وكذا الاختلاف بين الملك والشيطان وهو ان يكون
النوع واحدا والاختلاف واقعا في العوارض كالاختلاف بين الخير والشرير
والاختلاف بين النبي والولي والظاهر ان اختلافهم بالنوع والعلم عند
الله تعالى وهذه الجواهر المذكورة لا تنقسم اعيانا محل العلم بالله تعالى

الا هو وملك الموت هو الملك الذى بأمره الله تعالى يقبض الارواح متضمنا
تفريق المزاج الذى يستحق قبول تلك النفس مثال مثال مطفئ السراج بالنفخ
والنفخ نفختان نفخ يوقد كما قال تعالى فنفخنا فيه من روحنا ونفخ يطفئ كما قال تعالى
ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض وقال تعالى ثم نفخ فيه
اخرى فاذا هم قيام ينظرون **الركن الثالث فى المعجزات واحوال**
الانبياء عليهم السلام تسبيح الحصا وقلب العصا حية تسعى وكلام
البهائم وكلام الشاة التى قالت للنبى عليه الصلاة والسلام حين سمتها اليهودية
لا تاكل منى فانى مسمومة وامثال ذلك على ثلاثة اقسام القسم الاول الحسى و
الثانى الخيالى والثالث العقلى القسم الاول الحسى وهو ان يخلق الله العلم والحياة
والقدرة فى الحصا حتى يتكلم وفى البهيمة العقل والقدرة والنطق وذلك ليس
بمحال فان الله تعالى قادر على ان يخلق فى الباذروج حياة وقدرة وسمعا
ويخلق منه عقربا ويخلق من نوى النبق كذلك ويخلق من لحوم البقر النحل ومن
النطفة الانسان وسائر الحيوانات من موادها فهو قادر على ان يخلق باعجازه
نفس مقدسة نبوية فى الحصاة حياة وقدرة ومن شاهد خلق الحية المتضمنة
من شعر امرأة ويحس ذلك ولا يتعجب من قلب الشعر حية فكيف يتعجب من
قلب العصا حية والخشب كان ذا نفس نامية نباتية والشعر لم يكن قط ذا نفس
والاجسام متماثلة فكما جاز ذلك فى اجسام الناس جاز ذلك فى سائر الاجسام
وان كان الجسم الانسانى بسبب اعتدال المزاج قابلا للعقل والاشياء فكل
جسم مستعد لقبول المزاج المعتدل وان كان الاعتدال موقوفا على الحرارة
والرطوبة فليس يمتنع ان يكون كل جسم قابلا للحرارة والرطوبة ويكون دعاء
النبى وهمته يؤثران فى كينونة هذه الاشياء من غير مهلة ومدة وان جرت
العادة ان يخلق الله تعالى مثل هذه الاشياء فى مدة وبذلك يظهر شرف

وحدث بعده مزاج آخر قريب منه وذلك عند الادوار والتشكلات الفلكية
مثال ذلك حدث مزاج وتشكل الفلك على هيأة مخصوصة ثم عادت تلك
التشكلات باسرها عودا يمكن لها وان لم يكن بالنسبة المخصوصة الى مبدا
واحد فحدث مزاج آخر استحق المزاج الحادث نفسا اخرى لتلك النفس
مع النفس المفارقة التى كانت للمزاج المناسب له مناسبة ما فلا تتعلق النفس
المفارقة بذلك المزاج تعلقا كليا لاستحالة تصرف النفسين فى بدن واحد
فتتعلق بذلك المزاج تعلقا دون تعلق تلك النفس الحادثة معه فتزداد خيرا
ان كانت خيرة وشرا ان كانت شريرة ولذلك يقال لكل انسان حتى يشاكله
ويعاونه أو شيطان يغويه ويضله وان حدث مزاجان فى زمان واحد فى
بدنين أو فى مكانين وحدثت لهما نفسان كانتا تربين ففى الابدان تربان
وفى النفوس تربان وكل من تكون مناسبة الارواح المفارقة الى روحه أكثر
حدث به من تلك الاتصالات أنواع من الاخلاق فيكون عرافا كاهنا أو
صاحب تنجيم أو غير ذلك وربما كانت القوة الوهمية بعد المفارقة بحيث
يصير لها العالم المحسوس بدنا ولا تتعداه الى العالم الاعلى فتطالع الاسباب
الجزئية فى هذا العالم فتستفيد النفس البدنية المتصلة بها معرفة ما والشرير
منها فى غاية الشر لانها خرجت عن المادة فالشرير شيطان والخير من الطبقة
الناقصة جن وللجن والشياطين علائق يتمسك بها البشر وأفعال روحانية
هى مولدات لافعال طبيعية والخلاص عن المادة دليل كمال القوة سواء
كانت تلك القوة قوة رداءة أو قوة خير وأما القاعد عن اليمين والشمال
فقالوا فيهما ما قالوا والحق ان هذا اسر انما يعرفه الانبياء المرسلون عليهم
السلام وملائكة السموات المدبرون المتصرفون فى اجرام السموات
لا يعلم أعداد تلك الاجرام الا الله تعالى كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك

مخصوص من الحائط لا الى جميع المواضع وانما اختص ذلك الموضع لمناسبة بينه وبين
الماء في الموضع وتلك المناسبة مسلوبة عن سائر اجزاء الحائط وذلك الموضع
هو الذي اذا اخرج منه خط الى موضع النور من الماء حصلت منه زاوية الى
الارض مساوية للزاوية الحاصلة من الخط الخارج من الماء الى قرص الشمس
بحيث لا يكون اوسع منه ولا اضيق منه فلذلك لا يحصل هذا الا في
موضع مخصوص من الجدار فكما ان المناسبات الوضعية تقتضي الاختصاص
بانعكاس النور فالمناسبات المعنوية العقلية ايضا تقتضي ذلك في الجواهر
المعنوية ومن استولى عليه التوحيد فقد تاكدت مناسبته مع الحضرة الالهية
فاشرق عليه النور من غير واسطة ومن استولت عليه السنن والاقتداء
بالرسول ومحبة اتباعه ولم ترسخ قدمه في ملاحظة الوحدانية لم تستحكم مناسبته
الا مع الواسطة فافتقر الى واسطة في اقتباس النور كما افتقر الحائط الذي ليس
مكشوفا للشمس الى واسطة الماء المشرق الى الشمس والى مثل هذا ترجع
حقيقة الشفاعة في الدنيا فان الوزير المكرم في قلب الملك المخصوص بالعناية
قد يعفو الملك عن هفوات اصحاب الوزير ويعفو عنهم لا لمناسبة بين
الملك واصحاب الوزير لكن لانهم يناسبون الوزير المناسب للملك ففاضت
العناية عليهم بواسطة الوزير لا بانفسهم ولو رفعت الواسطة لم تشملهم
العناية اصلا لان الملك لا يرضى عن اصحاب الوزير لاختصاصهم بالاتباع
الوزير واظهار الرغبة في العفو عنه ويسمى لفظه في التعريف واظهار
الرغبة شفاعة على سبيل المجاز وانما الشفيع مكانته عند الملك وانما اللفظ
لاظهار الغرض والله مستغن عن التعريف ولو عرف الملك حقيقة
اختصاصه بالوزير لاستغنى عن اللفظ في حصول العفو فانه لا نطق
فيها ولا كلام والله تعالى عالم بذلك فلذلك كانت عليهم الصلاة والسلام

الانبياء وخرق العادة ليس بمحال مثال ذلك الشمس والنار فان ما يحصل من
تأثير الشمس في المائعات وغيرها انما يحصل بمدة على سبيل التدريج وما يحصل
من اسخان النار يكون دفعة فلم استحال ان يكون تأثير مراد الانبياء على وجه تكون
نسبته نسبة اسخان النار الى اسخان الشمس القسم الثاني العقلي وهو قول الله تعالى
وان من شيء الا يسبح بحمده وهو شهادة كل مخلوق وحادث على خالقه وموجده
كشهادة البناء على الباني والكتابة على الكاتب ويقال لذلك لسان الحال والمتكلمون
يقولون هذه دلالة الدليل على المدلول والحمقى من الناس لا يعرفون هذه
الرتبة ولا يقرون بها القسم الثالث الخيالي ان لسان الحال يصير مشاهدا محسوسا
على سبيل التمثل وهذه خاصية الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كما ان
لسان الحال يتمثل في المنام لغير الانبياء ويسمعون صوتا وكلاما كمن يرى
في منامه انه جماد يكلمه أو فرسا يخاطبه أو ميتا يعطيه شيئا أو يأخذ بيده أو يطلب
منه شيئا أو تصير اصبعه شمسا أو قمرا أو يصير ظفره اسدا أو غير ذلك مما يراه
النائم في منامه فالانبياء عليهم الصلاة والسلام يرون ذلك في اليقظة وتخاطبهم
هذه الاشياء في اليقظة فان المستيقظ لا يميز بين ان يكون ذلك نطقا خياليا
أو نطقا حسيا من خارج والنائم انما يعرف ذلك بسبب انتباهه والتفرقة
بين النوم واليقظة ومن كانت له ولاية تامة تفيض تلك الولاية اشعتها
على خيالات الحاضرين حتى انهم يرون ما يراه ويسمعون ما يسمعه والتمثل الخيالي
أشهر هذه الاقسام كلها واجمعها واجب **فصل** واما شفاعة الانبياء عليهم
الصلاة والسلام والاولياء فالشفاعة عبارة عن نور يشرق من الحضرة الالهية
على جوهر النبوة وينتشر منها الى كل جوهر استحكمت مناسبته مع جوهر النبوة
لشدة المحبة وكثرة المواظبة على السنن وكثرة الذكر بالصلاة عليه صلى الله
عليه وسلم ومثاله نور الشمس اذا وقع على الماء فانه ينعكس منه الى موضع

فصل قول النبي صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته الفاء ههنا
للتعقيب يعني قامت قيامة الميت عند موته مثال ذلك من سرق نصابا كاملا
من حرز فقد استحق قطع يده وهذا عقاب لايتاخر عن هذا الفعل وقال
تعالى أيضا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد
باء بغضب من الله والقيامة الكبرى ميعاد عند الله تعالى لايجليها لوقتها
الا هو وعلمها عند الله والاوقات والازمنة وان كان فيها تشابه ولكل
واحد منها خواص ببعض أنواع الوجود يعتبر ذلك في أوقات الحرث و
النسل وغيرهما وعند المتكلمين يرجع ذلك الى مشيئة الله تعالى فانه تعالى
يخصص وقتا يوجد فيه موجودا بارادته ومشيئته مع ان الاوقات متشابهة
بالاضافة الى القدرة والى ذات القديم سبحانه تعالى والفلاسفة يقولون
ان مبادي الحوادث حركات الافلاك وان ادوارها مختلفة ولكل تشكل من
تشكلاته مباين غيره من التشكلات معروف ذلك في براهين اقليدس
اذ كل تشكل وكل عود من تلك التشكلات لاتعود بعينها وبذلك يبطلون دعوى
المنجمين في التجربة لكل عود وتشكل من تشكلات الفلك فيجوز ان يتجدد
دور مباين لسائر الادوار تحدث فيه حيوانات غريبة الشكل لم ير مثلها
قبلها قط واذا القينا حجرا في الماء يحدث فيه شكل مستدير تكون استدارة
هذا الشكل مناسبة لعمقه وكلما ازداد عمقه ازدادت تلك الدائرة فاذا
القينا حجرا آخر قبل تمام هذه الدائرة لم يلزم ان تكون حركة الماء في النوبة
الثانية كحركته في النوبة الاولى لان الماء في الاولى ساكن وفي الاخرى متحرك
فان تشكيل الحجر للمتحرك خلاف تشكيله للساكن فتختلف الاشكال مع
تساوي الاسباب لامتزاج اثر السابق باللاحق وهب ان تشكلات المتحرك
وافق شكلا آخر فكيف يكون مقومات الثوابت والاوجات وسائر

في التلفظ بما هو معلوم عند الله تعالى لكانت ألفاظهم ألفاظ الشفعاء وإذا
أراد الله تعالى أن يمثل حقيقة الشفاعة بمثال يدخل في الحس والخيال
لم يكن ذلك التمثيل إلا بالفاظ ما لوفة بالشفاعة ويدل على ذلك انعكاس
النور بطريق المناسبة وان جميع ما ورد في الأخبار عن استحقاق الشفاعة
متعلق بما يتعلق بالرسول عليه الصلاة والسلام من صلاة عليه أو زيارة لقبره
أو جواب المؤذن والدعاء له عقيبه وغير ذلك مما يحكم علاقة المودة والمحبة
والمناسبة معه

الركن الرابع في أحوال ما بعد الموت فصل

في عذاب القبر النفس إذا فارقت البدن حملت القوة الوهمية معها كما
ذكرناها وتتجرد عن البدن منزهة ليس يصحبها شيء من الهيئات البدنية
وهي عند الموت عالمة بمفارقتها عن البدن وعن دار الدنيا متوهمة
نفسها الانسان المقبور الذي مات وعلى صورته كما كان في الدنيا تتخيل
وتتوهم وتتخيل بدنها مقبورا وتتخيل الآلام الواصلة إليها على سبيل
العقوبات الحسية على ما وردت به الشرائع الصادقة فهذا عذاب القبر
وان كانت سعيدة تتخيل على صورة ملائمة على وفق كانت تعتقد من
الجنات والأنهار والحدائق والغلمان والولدان والحور العين وكأس
من المعين فهذا ثواب القبر فلذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام
القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران فالقبر
الحقيقي هذه الهيئات وعذاب القبر وثوابه ما ذكرناها والنشأة
الأخرى خروج النفس عن غبار هذه الهيئات كما يخرج الجنين من
القرار المكين كما قال تعالى قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو
بكل خلق عليم وقوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا
فإذا أنتم منه توقدون دليل ظاهر ومثال بين لهذه النشأة

أظهر من تعجب عودها اليه بعد المفارقة وتأثير النفس في البدن تأثير
فعل وتسخير ولا برهان على استحالة عود هذا وصيرورة هذا البدن
مستعدا مرة أخرى لقبول تأثيره وتسخيره بقي ههنا تعجب من ضعفاء
العقول وهو ان ذلك الاستعداد الانساني يحصل قليلا قليلا بالتدريج
من نطفة في قرار مكين ثم من علقة الى تمام الخلقة واذا لم يكن كذلك لا
يقبل استعداد قبول التسخير ودفع هذا التعجب انا قد بينا ان ما هو ممكن
بالتدريج انما هو التوالد وأما التولد فلا يكون بالتدريج بل بعد وثم ممكن
دفعة واحدة الا ترى ان الفأر الذي يتوالد يكون بالتدريج وباجتماع
الذكر والانثى وبعد حمل وسفاد وأن التولدي منه يكون دفعة فانه لم
يوجد قط مدر ولا تراب بعضه فأر وبعضه بالقوة قريب الحجم الفأر وكذلك
الذباب الذي يتولد في الصيف من العفونات يكون دفعة ولم توجد
عفونة تغيرت عن حالها وصارت بالقوة قريبة الى ان تستحيل في أيام
غير مهلة وتدريج والنشأة الثانية تولدية من تلك الاجزاء التي كانت في
الاصل وان تفرقت وانخلعت صورها فيرد الله تعالى واهب الصور تلك
الصور الى موادها ويحصل المزاج الخاص مرة أخرى ولها نفس حادثة
عند حدوث ذلك المزاج ابتداء فتعود بالتسخير والتصرف اليهما مع
العلاقة التي بينهما مثال ذلك راكب سفينة غرقت السفينة وتفرقت
اجزاؤها وانتقل الراكب بالساحة الجزيرة ثم ترد تلك الاجزاء بعينها الى
الهيئة الاولى فاذا توطد وتؤكد عاد اليها راكب السفينة واجراها وتصرف
فيها كما شاء ولا يجب ان يستحق هذا الحشر وجميع الاجزاء والمزاج ايجاد
نفس أخرى فان حدوث المزاج يستحق حدوث نفس له اما عود المزاج
الى الحالة الاولى فلا يستحق الا عود النفس الى الحالة الاولى واما ظن من

الجوزهرات على مثل ما كانت عليه في التشكل الاول فلا يستحيل ان يكون في التقدير الازلي للادوار دور يخالف هذه الادوار يقتضي نمطا من نظام الوجود والابداع على خلاف النمط المعهود ولا يستحيل ان يكون ذلك النمط بديعا لم يسبق له نظير ولا ان يكون حكمه باقيا لا يلحقه مثل الدور السابق المنسوخ فيبقى النمط الحاصل من الابداع مستمرا في جنسه وان كانت تتبدل آحاده فيكون ميعاد القيامة الكبرى حصول ذلك التشكل الغريب من الاسباب العالية فيكون ذلك سببا كليا جامعا لجميع الارواح فيعم حكمها كافة الارواح فتكون قيامة عامة مخصوصة بوقت لا تتسع القوة البشرية لمعرفتها اعني لمعرفة وقتها ولا الانبياء المرسلون عليهم الصلوة والسلام فان الانبياء ايضا يكشف لهم ما يكشف بقدر احتمالهم قبولهم فاذا لم يقم برهان كلامي ولا فلسفي على استحالته وجب التصديق به اذ ورد الشرع به تصريحا لا يتطرق اليه الاحتمال والتأويل وقد صرح الشرع به تصريحا ضروريا يجب الايمان به ولا يمكن تأويله وكما جاز ان يحدث دور يتشكل يحدث بسببه انواع من الحيوانات لم يعهد مثلها فكذلك يجب ان يحدث زمان يحشر فيه الموتى وتجمع اجزاؤهم وتعود الى اشباحهم ارواحهم فكما ان الجاهل يتأمل فصل الشتاء ويتعجب ان يحصل فيه نبات وثمار اذا ورد فصل الربيع عاين ذلك وبين زماني الفصلين بعد في هذه الدار فكذلك بين زمان النشأة الاولى التي تحصل للانسان بالتناسل وزمان النشأة الاخرى التي تحصل للانسان بالاحياء والاعادة كون بعيد لا يقاس احدهما على الثاني

فصل

عود النفس الى البدن بعد مفارقتها عنه في القيامة امر ممكن غير مستحيل ولا ينبغي ان يتعجب منه بل التعجب من تعلق النفس بالبدن في اول الامر

الى ان يصير هذا الطفل بالتدريج صاحب صناعات واستنباطات بل ربما
هذا الشيء الذي أصله نطفة وهو عند الولادة اضعف خلق الله يصير عن
قريب ملكا جبارا وقهارا ايماك اكثر العالم وينصرف فيه فان التعجب من ذلك
اكثر واوفر من التعجب من النشأة الاخرى والاصل ان كل شيء لم يشاهده
الانسان ولم يعرف سببه يحصل له منه التعجب والتعجب هيئة تحصل
للانسان عند مشاهدة شيء لم يشاهده قبل ذلك أو سماع شيء لم يعرف
سببه ولم يسمع قبل ذلك **فصل** تعلق النفس بالبدن كالحجاب لها
عن حقائق الامور وبالموت ينكشف الغطاء كما قال تعالى فكشفنا
عنك غطاءك وما يكشف له تأثير أعماله مما يقربه الى الله تعالى ويبعده وبين
مقادير تلك الاثار وان بعضها اشد تأثيرا من البعض ولا يمتنع في قدرة
الله تعالى ان يجري سببا يعرف الخلق في لحظة واحدة مقادير الاعمال بالاضافة
الى تأثيراتها في التقريب والابعاد فحد الميزان ما يميز به الزيادة من النقصان
ومثاله في العالم المحسوس مختلف فمنه الميزان المعروف ومنه القبان للاثقال
والاسطرلاب لحركات الفلك والاوقات والمسطرة للمقادير والخطوط و
العروض لمقادير حركات الاصوات فالميزان الحقيقي اذا مثله الله عز وجل
للحواس مثله بما شاء من هذه الامثلة أو غيرها فحقيقة الميزان وحده موجود
في جميع ذلك وهو ما يعرف به الزيادة من النقصان وصورته تكون متمثلة
للحس عند التشكيل وللخيال عند التمثيل والله تعالى أعلم بما يقدره من
صنوف التشكيلات والتصديق بجميع ذلك واجب **فصل** والحشر
جمع متفرقات المقادير وتعريف مبلغها وما من الذات الا ولها اعمال شتى
نافعة وضارة ومقربة ومبعدة لا تعرف نتائجها وقد لا تحصر آحادها
متفرقاتها فاذا احصيت المتفرقات وجمع مبلغها حسابا فان كانت

ظن ان الاجزاء الارضية لا تفي بذلك فظن ووهم لا اعتبار بهما فمن قاس الانسان والاجزاء الارضية التي فيه باجزاء الارض واى مهندس استخرج بالمساحة ذلك الحد واما الاختلاف الراجع الى ذلك في الكتب الالهية في التوراة ان اهل الجنة يمكثون في النعيم خمسة عشر الف سنة ثم يصيرون ملائكة وان اهل النار كذا او ازيد ثم يصيرون شياطين وفي الانجيل ان الناس يحشرون ملائكة لا يطعمون ولا ينامون ولا يشربون ولا يتوالدون وفي القرآن ان الناس يحشرون كما خلقهم الله تعالى اول مرة كما قال تعالى فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم اول مرة وسؤال ابراهيم عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى رب ارني كيف تحيي الموتى وقول عزير عليه السلام حكاية منه انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه ومكث اصحاب الكهف وهو قوله تعالى وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم الى قوله ليعلموا ان وعد الله حق دلائل على ان هذه النشأة كائنة ممكنة يجب الايمان بها وكان في قديم الدهر فيها اختلاف الناس والانبياء عليهم السلام يثبتون تلك بالبراهين في الامثلة المحسوسة والتعجب من النشأة الاولى اكثر من الاخرى الا ان النشأة الاولى محسوسة مشاهدة معتادة فسقط التعجب فانا لو سمعنا ان انسانا تحرك نفسه فوق امرأة مرارا كما يحرك الممخض ونخرج من اجزائه شيء مثل زبد سيال فيختفي ذلك الشيء في بعض اعضاء المرأة ويبقى مدة على هذه الحالة ثم يصير علقة ثم العلقة تصير مضغة ثم المضغة تصير عظاما ثم تكسى العظام لحما ثم تحصل فيه الحركة ثم يخرج من موضع لم يعهد خروج شيء منه على حالة الانهاك امه ولا يشق عليها في ولادته ثم يفتح عينيه ويحصل في ثدي الام شيء مثل شراب مائع لم يكن قبل ذلك فيهلو يغتذى به الطفل

منفكون عن هذه الاوصاف المتضادة وليس في امكان الانسان الانفكاك عنها بالكلية فكلفه الله تعالى بما يشبه الانفكاك وان لم يكن حقيقة الانفكاك وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد والعودى لا أبيض ولا أسود والبخل والتبذير من صفات الانسان والمقتصد السخى كأنه لا بخيل ولا مبذر فالصراط المستقيم هو الوسط الحق بين الطرفين الذى لا ميل له الى أحد الجانبين وهو أدق من الشعر فالذى يطلب غاية البعد من الطرفين يكون على الوسط ولو فرضنا حلقة حديد محماة بالنار وقعت نملة فيها وهى تهرب بطبعها من الحرارة فلا تموت الا على المركز لانه الوسط الذى هو غاية البعد من المحيط المحرق وتلك النقطة لا عرض لها فان الصراط المستقيم هو الوسط بين الطرفين ولا عرض له فهو ادق من الشعر ولذلك خرج عن القدرة البشرية الوقوف عليه فلا جرم يرد امثالنا النار بقدر ميله عنه كما قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا وقال تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فان العدل بين المراتب في المحبة والوقوف على درجة وسطى لا ميل فيها الى احداها كيف يدخل تحت الامكان فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم الذى يحكى الله تعالى حقيقته عن النبى صلى الله عليه وسلم وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه مر على صراط الآخرة مستويا من غير ميل لانه فى هذا العالم عود نفسه التحفظ عن الميل فصار ذلك وصفا طبيعيا له فان العادة طبيعة خامسة وهذا حق قطعا كما ورد به الشرع وجاء في الحديث يمر المؤمن على الصراط كالبرق الخاطف فصل اللذات المحسوسة الموجودة فى الجنان من اكل وشرب ونكاح يجب التصديق بها لامكانها وهى تنقسم الى حسى وخيالى وعقلى أما الحسى فبعد رد الروح الى البدن كما ذكرناه .

قدرة الله تعالى ان يكشف فى لحظة واحدة للعالمين متفرقات أعمالهم ومبلغ
آثارها فهو أسرع الحاسبين ومعلوم ان فى تقديرذلك فاذن هو أسرع
الحاسبين قطعا وسئل أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه
كيف يحاسب الله الخلائق فى لحظة من غير تشويش ولا غلط فقال رضى
الله عنه كما يرزقهم مع سائر الحيوانات بلا تشويش ولا غلط فصل
الصراط حق وما قيل فيه انه مثل الشعرة فى الدقة فهو ظاهر فى وصفه بل ادق
من الشعر بل لا مناسبة بين دقته ودقة الشعر وحدته وحدة السيف كما لا
مناسبة فى الدقة بين الخط الهندسى الفاصل بين الظل والشمس الذى
ليس من الظل ولا من الشمس وبين دقة الشعر ودقة الصراط مثل
دقة الخط الهندسى الذى لا عرض له اصلا لانه على مثال الصراط المستقيم
والصراط المستقيم عبارة عن الوسط الحقيقى بين الاخلاق المتضادة
لذلك تدبين الله بهذا الدعاء فى سورة الفاتحة حيث قال اهدنا
الصراط المستقيم وقال فى حق المصطفى صلوات الله عليه وانك لتهدى
الى صراط مستقيم وقال صلى الله عليه وسلم انما بعثت لاتمم مكارم
الاخلاق وقال تعالى شأنه وانك لعلى خلق عظيم مثال ذلك السخاوة بين
التبذير والبخل والشجاعة بين التهور والجبن والاقتصاد بين الاسراف
والاقتار والتواضع بين التكبر والدناءة والعفة بين الشهوة والجمود
فهذه الاخلاق لها طرف افراط وطرف تقصير وهما مذمومان و
الوسط ليس من الافراط ولا من التقصير فهو على غاية البعد من كل طرف
ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم خير الامور أوساطها مثال ذلك
الوسط الخط الهندسى الفاصل بين الظل والشمس لا من الظل ولا من
الشمس والتحقيق فى ذلك ان كمال الآدمى فى المشابهة بالملائكة وهم

عن اللطف الالهي الذي هو منبع القدرة على اختراع الصور بحسب المشيئة
وانطباع القوة الباصرة فيها انطباعا ثابتا الى دوام المشيئة لا انطباعا هو معرض
للزوال من غير اختيار كما في النوم في هذا العالم وهذه القدرة أوسع و
أكمل من القدرة على الايجاد خارج الحس لان الموجود من خارج الحس لا يتوجد
في مكانين واذا صار مشغولا باجتماع واحد ومشاهدته وبما يشاهد صار
مشغولا به ممنوعا عن غيره واما هذا فيتسع اتساعا لا ضيق فيه ولا منع حتى
انه اشتهى مشاهدة الشئ مثلا ألف شخص في ألف مكان في حالة واحدة
لشاهدوه كما خطر ببالهم في أماكنهم المختلفة واما الابصار الحاصل عن تشخص
الشئ الموجود من خارج الحس لا يكون الا في مكان واحد وحمل الامر الاخروي
على ما هو أوسع وأتم للشهوات واوفق بها أولى ولا نقص في تلك الايجاد و
أما الوجه الثالث وهو الوجود العقلي فأن تكون هذه المحسوسات امثلة
اللذات العقلية التي ليست بمحسوسة لكن العقليات تنقسم الى انواع كثيرة
مختلفة اللذات كالحسيات فتكون الحسيات امثلتها وكل واحد يكون
مثالا للذة اخرى مما يليق في العقليات توازي وتبدل المثال في الحسيات فانه لو
رأى في المنام الخضرة والماء الجاري والوجه الحسن والانهار المطردة باللبن
والعسل والخمر والاشجار المزينة بالجواهر واليواقيت واللآلي والقصور
المبنية من الذهب والفضة والسرر المرصعة بالجواهر والغلمان الماثلين
بين يديه للخدمة لكان المعبر يفسر ذلك بالسرور ولا يحمله على نوع واحد
بل يحمل كل واحد على نوع آخر من أنواع السرور وقرة العين يرجع بعضه
الى سرور العلم وكشف المعلومات وبعضه الى سرور المملكة ونفاذ الامر
وبعضه الى قهر الاعداء وبعضه الى مشاهدة الاحباب وان كان يشمل الجميع
اسم اللذة والسرور فهي مختلفة المراتب مختلفة الذوق فكل واحد منها ذاق

أما الكلام في أن بعض هذه اللذات مما لا يرغب فيهما مثل اللبن والإستبرق والطلح المنضود والسدر المخضود فهذا اما خوطب به جماعة يعظم ذلك في أعينهم ويشتهون غاية الشهوة وفي كل صنف وكل أقليم مطاعم ومشارب وملابس تخص بقوم دون قوم ولكل واحد في الجنة ما يشتهيه كما قال تعالى ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون وربما يعظم الله تعالى في الآخرة شهوة لا تكون تلك الشهوة معظمة في دار الدنيا كالنظر إلى ذات الله تعالى فإن الشهوة والرغبة الصادقة فيها في الآخرة دون الدنيا وأما الخيالي فلا يخفى امكانه ولذته كما في النوم الا انه مستحقر لانقطاعه عن قريب فلو كانت دائمة لم يدرك فرق بين الخيالي والحسي لان التذاذ الانسان بالصور من حيث انطباعها في الخيال والحس لا من حيث وجودها من خارج فلو وجد من خارج ولم يوجد في حسه بالانطباع فلا لذة ولو بقي المنطبع في الحس وعدم الخارج لدامت اللذة وللقوة المتخيلة قدرة على اختراع الصور في هذا العالم الا أن صورها المخترعة متخيلة وليست محسوسة ولا منطبعة في القوة الباصرة فلذلك لو اخترع صورة جميلة في غاية الجمال وتوهم حضورها ومشاهدتها لم تعظم لذته لانه ليس يصير مبصرا كما في النوم فلو كانت له قوة على تصويرها في القوة الباصرة كما له قوة على تصويرها في القوة المتخيلة لعظمت لذته ونزلت منزلة الصورة الموجودة من خارج ولا تفارق الآخرة الدنيا في هذا المعنى الا من حيث كمال القدرة على تصوير الصورة في القوة الباصرة وكل ما يشتهيه يحضر عنده في الحال فتكون شهوته سبب تخيله وتخيله سبب ابصاره اي سبب انطباعه في القوة الباصرة فلا يخطر ببال الشيء يميل اليه الا ويوجد في الحال اي يوجد بحيث يراه واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام ان في الجنة سوقا تباع فيه الصور والسوق عبارة

من هو خارج عن أحوال العوالم الغيبية في الدار الدنيا كما يطلع في الدنيا على
أحوال من هو في الآخرة [illegible] فإن [illegible] الموت و
أخوه [illegible] معرفة أحوال المرئيات مستعدين في
حالة اليقظة أيضاً فكذلك من وصل إلى الدار الآخرة ومات صح باختصاصه بأن
بالاطلاع على هذا العالم الأولى [illegible] أحوال هذا العالم في جميع الأوقات
لم يتمكن منه [illegible] أحوال الماضين [illegible] في
معرفتنا فيما عندنا [illegible]
منها [illegible] صاحب الجامع [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الميت [illegible]
[illegible] الميت في النفس [illegible] في حال
حضرون [illegible] ظن أنه قادر على أن يحضر في مجلسه
ذلك الميت عند غيبته مشهدك كما يحضر عندنا بمشاهدة مشهدك فإن [illegible]
خطأ فإن مشاهدة آثار نبينا النبي للغيبة [illegible] عن استعانات في [illegible]
الميت لم تكن هذه الاستعانة أيضاً [illegible] لا تخلو من أثر [illegible] عليه
الصلاة والسلام من صلى علي مرة صليت عليه عشرا [illegible] أهل المودة [illegible]
حلت له شفاعتي ومن زار قبري وجبت له شفاعتي والتقرب بغالبه الذي
هو أخص الخواص بوسيلة تامة متقاضية للشفاعة والتقرب بولده الذي
هو بضعة منه ولو بعد توالد وتناسل والتقرب بمشاهده ومساجده وبلده
وعصاه وسوطه ونعله وعضادتيه والتقرب بعادته وسيرته والتقرب بكل
ماله منها مناسبة إليه تقرب موجب للقرب إليه مقتض لشفاعته فإنه لا
فرق عند الأنبياء في كونهم في دار الدنيا وفي كونهم في دار الآخرة إلا في [illegible]

يفارق الآخر فكذلك اللذات العقلية ينبغي ان تفهم كذلك وان كان مما لا
عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فجميع هذه الاقسام
ممكنة فيجوز ان يجمع بين الكل لواحد ويجوز ان يكون نصيب كل واحد
بقدر استعداده فالمشغوف بالتقليد والجمود على الصور الذي لم تنفتح
له طرق الحقائق تمثل له هذه الصور واللذات والعارفون المستصغرون
لعالم الصور واللذات المحسوسة يفتح لهم من لطائف السرور واللذات
العقلية ما يليق بهم ويشتهي شرفهم وشهوتهم اذ حد الجنة ان فيها لكل امرئ
ما يشتهيه واذا اختلفت الشهوات لم يبعد ان تختلف العقليات واللذات
والقدرة واسعة والقوة البشرية عن الاحاطة بعجائب القدرة قاصرة و
الرحمة الالهية القت بواسطة النبوة الى كافة الخلق القدر الذي احتملته
افهامهم فيجب التصديق بما فهموه والاقرار بما وراء منتهى الفهم من امور
تليق بالكرم الالهي ولا تدرك بالفهم البشري وانما يدرك ذلك في مقعد
صدق عند مليك مقتدر **فصل** اما التقرب لمشاهد الانبياء و
الائمة عليهم السلام والعبارة عن هذه الامداد الشفاعة وهذا يحصل
من جهتين الاستمداد من هذا الجانب والامداد من الجانب الآخر
ولزيارة المشاهد اثر عظيم في هذين الركنين اما الاستمداد فهو بانصراف
همة صاحب الحاجة باستيلاء ذكر الشفيع والمزور على الخاطر حتى تصير كلية
همته مستغرقة في ذلك ويقبل بكليته على ذكره وخطوره بباله وهذه الحالة
سبب منه لروح ذلك الشفيع او المزور حتى تمده تلك الروح الطيبة
بما يستمد منها ومن اقبل في الدنيا بهمته وكليته على انسان في دار الدنيا
فان ذلك الانسان يحس باقبال ذلك المقبل عليه ويحس بذلك فمن لم
يكن في هذا العالم هو اولى بالتنبيه وهو مهيأ لذلك التنبيه فان اطلع

من جهة ذلك السلطان أو سوط الله فانه يعظم تلك البلدة فالملائكة عليهم السلام
يعظمون النبي فاذا رأوا ذخائره في دار أو بلدة أو قبر عظموا صاحبه و
خففوا عليه العذاب ولذلك السبب ينفع الموتى ان توضع على قبورهم
المصاحف ويتلى القرآن على رؤس قبورهم ويكتب القرآن على قراطيس
وتوضع القراطيس في أيدي الموتى فهذه انواع المناسبات على حسب
حال من يريد أن يسوي كل مسموع ومشروع على قضية معقولة والا
ففي ذلك اسرار وراء ما يتصوره العقلاء امور ورد الشرع بها ولا يعلم حقائقها الا
الله تعالى والانبياء الذين هم وسائط بين الله تعالى وبين عباده وان
اجتمع الحذاق وتفكروا في الشكل الموضوع على مناسبة الاعداد لسهولة الولادة
حالة الطلق ما عرفوا تلك الخاصية فكيف يطمع الانسان ان يعرف حقائق ما ورد
به الشرع من الاوامر والنواهي والاخبار والوعد والوعيد وغير ذلك والعقل
ضعيف وتصرفه مختصر بالاضافة الى تلك العجائب والخواص قد قررت يا اخي
طيب الله عيشك بعض ما يمكن التلويح اليه على وفق ما انتهت قواي اليه
أوصيك ومن معك بالايمان بهذه الاشياء التي ورد الشرع بتصحيحها وترك
التوقف فيها ونعوذ بالله من التوقف وساهدي اليك من بعد ان وفقني
الله تعالى علقا مضنونا آخر اسمه المضنون به على غير اهله احق واولى من هذا المصنف
فان في هذا مسائل قررتها في عدة مواضع ومسائل لم اقررها الا في ذلك
المصنف أما المضنون الموجود فقد كان عزيمتي على تقرير اشياء فيه لم اقررها
في شيء من كتبي اللهم الا في احياء العلوم فان فيه تلويحات واشارات الى رموز
لا يعرفها الا اهلها والله المعين انه هادي وهو حسبنا واليه المرجع والمصير

تمت

المعرفة فان آلة المعرفة فى الدنيا الحواس الظاهرة وفى العقبى آلة يعرف بها
الغيب اما فى كسوة مثال واما على سبيل التصريح وأما الاحوال الآخر فى التقرب
والقرب والشفاعة فلا تتغير والركن الاعظم فى هذا الباب الامداد والاهتمام
من جهة الممد وان لم يشعر صاحب الوسيلة بذلك المدد فانه لو وضع شعر
رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غضادته أو سوطه على قبر عاص أو مذنب
نجا ذلك المذنب ببركات تلك الذخيرة من العذاب وان كان فى دار
انسان أو بلدة لا يصيب تلك الدار وأهلها وتلك البلدة وسكانها
ببركاتها بلاء وان لم يشعر بها صاحب الدار وساكن البلدة فان اهتمام النبى
صلى الله عليه وسلم وهو فى العقبى مصروف الى ما هو به منسوب ودفع المكاره
والامراض والعقوبات مفوضة من جهة الله تعالى الى الملائكة وكل ملك
حريص على اسعاف ما حرص النبى صلوات الله عليه بهمته اليه عن غيره
كما كان فى حال حياته فان تقرب الملائكة بروحه المقدسة بعد موته أزيد
من تقربهم به فى حال حياته وقد حكى ان ابا طاهر الهجرى القرمطى رفع
انسانا على عنقه حتى يجر ميزاب الكعبة فمات الانسان على عاتقه وخر هو
ميتا وان جماعة من المصريين نقبوا فى جوار روضة النبى صلى الله عليه وسلم
وقصدوا اخراج شخصه ونقله الى مصر كان ذلك فى نصف الليل فسمع
أهل المدينة صوتا من الهواء احفظوا نبيكم معاشر المسلمين احفظوا
نبيكم فأوقدوا السراج بل أوقدوا السرج والشموع والمشاعل ورأوا الذين
النقب فى الجدار وهو لا جماعة من المصريين موتى ونقل أنه صلى الله عليه
وسلم غرس غصنا رطبا فى قبر انسان وقال رفع الله تعالى عن صاحبه
العذاب مادام هذا الغصن رطبا وذلك من بركات يديه صلى الله عليه
وسلم وكل من أطاع سلطانا تعظيما له اذا دخل بلده ورأى فيها سنة

منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا
بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرر الاوقات وظائف الاوراد
حرصا على احياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي الى دار القرار
فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الاوراد وتوزيع
العبادات التي سبق شرحها على مقادير الاوقات **بيان اعداد الاوراد**
وترتيبها اعلم ان اوراد النهار سبعة فما بين طلوع الصبح الى طلوع الشمس
ورد وما بين طلوع الشمس الى الزوال وردان وما بين الزوال الى وقت العصر
وردان وما بين العصر الى المغرب وردان والليل ينقسم الى اربعة اوراد ورد
من المغرب الى وقت نوم الناس وورد وردان من النصف الاخير من الليل الى
طلوع الفجر فلنذكر فضيلة كل ورد ووظيفته وما يتعلق به **الورد الاول** ما
بين طلوع الصبح الى طلوع الشمس وهو وقت شريف ويدل على شرفه وفضله
اقسام الله تعالى به اذ قال والصبح اذا تنفس وتمدحه به اذ قال فالق الاصباح
وقال تعالى قل اعوذ برب الفلق واظهار القدرة بقبض الظل فيه اذ قال
تعالى ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو وقت قبض ظل الليل ببسط نور الشمس
وارشاده الناس الى التسبيح فيه بقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين
تصبحون وبقوله تعالى فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وقوله
عز وجل ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقوله تعالى واذكر
اسم ربك بكرة واصيلا **فاما ترتيبه** فقد روى عن انس بن مالك رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في صلاة الصبح من توضأ ثم توجه
الى المسجد ليصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحي عنه سيئة والحسنة
بعشر امثالها فاذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في
جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فان جلس حتى يركع الضحى كتب له بكل

كتاب الاوراد للامام الغزالي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله على آلائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا يغادر في القلب استكبارا ولا نفورا
ونشكره اذ جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا ونصلي على
نبيه الذي بعثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى آله الطاهرين وصحبه الاكرمين الذين
اجتهدوا في عبادة الله غدوة وعشيا وبكرة واصيلا حتى اصبح كل واحد منهم
نجما في الدين هاديا وسراجا منيرا **اما بعد** فان الله تعالى جعل الارض
ذلولا لعباده لا ليستقروا في مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودوا منها
زادا يحملهم في سفرهم الى اوطانهم ويكتنزوا منها تحفا لنفوسهم عملا وفضلا
محترزين من مصايدها ومعاطبها ويتحققوا ان العمر يسير بهم سير
السفينة براكبها فالناس في هذا العالم سفر واول منازلهم المهد وآخرها
اللحد والوطن هو الجنة او النار والعمر مسافة السفر فسنوه مراحله وشهوره
فراسخه وايامه امياله وانفاسه خطواته وطاعته بضاعته واوقاته رؤوس امواله
وشهواته واغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله تعالى في دار السلام مع الملك
الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله تعالى مع الانكال والاغلال و
العذاب الاليم في دركات الجحيم فالغافل في نفس من انفاسه حتى ينقضي في
غير طاعة تقربه الى الله زلفى متعرض في يوم التغابن لغبينة وحسرة ما لها

وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك
يعود السلام حينا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام
ثم يفتتح الدعاء بما كان يفتتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحان
ربي العلي الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي و
يميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير لا اله الا الله أهل
النعمة والفضل والثناء الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو
كره الكافرون الورد الثاني ما بين طلوع الشمس الى ضحوة النهار واعني بالضحوة
منتصف ما بين طلوع الشمس الى الزوال وذلك بمضي ثلاث ساعات من النهار
اذا فرض النهار اثنتي عشرة ساعة وهو الربع وفي هذا الربع من النهار وظيفتان
زائدتان احداهما صلاة الضحى وقد ذكرناها في كتاب الصلوة وان الاولى ان يصلي
ركعتين عند الاشراق وذلك اذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر نصف
رمح ويصلي اربعا او ستا او ثمانيا اذا رمضت الفصال وضحيت الاقدام بحر
الشمس فوقت الركعتين هو الذي اراد الله تعالى بقوله يسبحن بالعشي والاشراق
فانه وقت اشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاع اعني سبأ؟ البخارات
والغبارات التي على وجه الارض فانها تمنع اشراقها التام ووقت الركعات الاربع
هو الضحى الاعلى الذي أقسم الله تعالى به فقال والضحى والليل اذا سجى وخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى باعلى
صوته الا ان صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال فلذلك نقول اذا كان يقتصر
على مرة واحدة في الصلاة فهذا الوقت أفضل لصلاة الضحى وان كان اصل
الفضل يحصل بالصلاة بين طرفي وقتي الكراهة وهو ما بين ارتفاع الشمس بطلوع
نصف رمح بالتقريب الى ما قبل الزوال في ساعة الاستواء واسم الضحى ينطلق
على الكل وكأن ركعتي الاشراق تقع في مبتدأ وقت الاذن في الصلاة وانقضا

وكتبة ألفا ألف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة وكان
من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر قال رجل من التابعين دخلت
المسجد قبل طلوع الفجر فلقيت أبا هريرة قد سبقني فقال لي يا ابن أخي لأي شيء خرجت
من منزلك في هذه الساعة فقلت لصلاة الغداة فقال ابشر فانا كنا نعد خروجنا
وقعودنا في المسجد في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله تعالى او قال مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم طرقه
وفاطمة رضي الله عنهما وهما نائمان فقال ألا تصليان قال علي فقلت يا رسول الله
انما أنفسنا بيد الله تعالى فاذا شاء ان يبعثها بعثها فانصرف صلى الله عليه وسلم
فسمعته وهو منصرف يضرب فخذه ويقول وكان الانسان أكثر شيء جدلا
ثم ينبغي أن يشتغل بعد ركعتي الفجر وبعد مائة الاستغفار والتسبيح الى أن تقام الصلاة
فيقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه سبعين مرة وسبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ثم يصلي الفريضة مراعيا جميع ما
ذكرناه من الآداب الباطنة والظاهرة في الصلاة والقدوة فاذا فرغ منها قعد في المسجد
الى طلوع الشمس في ذكر الله تعالى كما سنرتبه فقد قال صلى الله عليه وسلم لأن أقعد
في مجلس أذكر الله تعالى فيه من صلاة الغداة الى طلوع الشمس أحب الي من أن
أعتق أربع رقاب وروي أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى الغداة قعد في مصلاه
حتى تطلع الشمس وفي بعضها ويصلي ركعتين أي بعد الطلوع وقد ورد في فضل
ذلك ما لا يحصى وروى الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما
يذكره من رحمة ربه يقول انه قال يا ابن آدم اذكرني بعد صلاة الفجر ساعة وبعد
صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما واذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم الى
طلوع الشمس بل ينبغي ان تكون وظيفته الى الطلوع أربعة أنواع أدعية وأذكار
ويكررها في سبحة وقراءة قرآن وتفكر اما الادعية فكلما يفرغ من صلاته فليبدأ

الآخرة أشد والتمتع به أدوم فالاشتغال بالكسب أهم من طلب الزيادة على حاجة
الوقت فقد قيل لا يوجد المؤمن إلا في ثلاث مواطن مسجد يعمره أو بيت
يستره أو حاجة لا بد له منها وقل من يعرف القدر فيما لا بد منه بل أكثر الناس
يقدرون فيما عنه بد أنه لا بد لهم منه وذلك لأن الشيطان يعدهم الفقر
ويأمرهم بالفحشاء فيصغون إليه ويجمعون ما لا يأكلون خيفة الفقر والله
يعدهم مغفرة منه وفضلا فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه الأمر الثاني القيلولة
وهي سنة يستعان بها على قيام الليل كما أن التسحر سنة يستعان به على صيام النهار
فإن كان لا يقوم بالليل لكن لو لم ينم لم يشتغل بخير وربما خالط أهل الغفلة و
تحدث معهم فالنوم أحب له إذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع إلى الأذكار و
الوظائف المذكورة إذ في النوم الصمت والسلامة وقد قال بعضهم يأتي على
الناس زمان الصمت والنوم فيه أفضل أعمالهم وكم من عابد أحسن أحواله
النوم وذلك إذا كان يرائي بعبادته ولا يخلص فيها فكيف بالغافل الفاسق
قال سفيان الثوري رحمه الله كان يعجبهم إذا تفرغوا أن يناموا طلبا للسلامة
فإذا كان نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل كان نومه قربة ولكن
ينبغي أن يتنبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء وحضور
المسجد قبل دخول وقت الصلاة فإن ذلك من فضائل الأعمال وإن لم
ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاة والذكر فهو أفضل أعمال النهار لأنه
وقت غفلة الناس عن الله عز وجل واشتغالهم بهموم الدنيا فالقلب
المتفرغ لخدمة ربه عند إعراض العبيد عن بابه جدير بأن يزكيه الله تعالى و
يصطفيه لقربه ومعرفته وفضل ذلك كفضل إحياء الليل فإن الليل وقت
الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا
وأحد معنيي قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر

الكراهة اذ قال صلى الله عليه وسلم ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا
ارتفعت فارقها فاقل ارتفاعها ان ترتفع عن بخارات الارض وغبارها و
هذا يراعى بالتقريب الوظيفة الثانية في هذا الوقت الخيرات المتعلقة بالناس
التي جرت بها العادات بكرة من عيادة مريض وتشييع جنازة ومعاونة على
بر وتقوى وحضور مجلس علم وما يجري مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها
فان لم يكن شيء من ذلك عاد الى الوظائف الاربع التي قدمناها من الادعية
والذكر والقراءة والفكر والصلوات المتطوع بها ان شاء فانها مكروهة بعد صلاة
الصبح وليست مكروهة الآن فتصير الصلاة قسما خامسا من جملة وظائف
هذا الوقت لمن اراده اما بعد فريضة الصبح فتكره كل صلاة لا سبب لها و
بعد الصبح الاحب ان يقتصر على ركعتي الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلاة
بل بالاذكار والقراءة والدعاء والفكر الورد الثالث من ضحوة النهار الى
الزوال ونعني بالضحوة المنتصف وما قبله بقليل وان كان بعد كل ثلاث
ساعات امر بصلاة فاذا انقضى ثلاث ساعات بعد الطلوع فعندها وقبل
مضيها صلاة الضحى فاذا امضت ثلاث ساعات اخرى فالظهر فاذا امضت
ثلاث ساعات اخرى فالعصر فاذا امضت ثلاث اخرى فالمغرب ومنزلة الضحى
بين الزوال والطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والمغرب الا ان الضحى لم تفرض
لانه وقت انكباب الناس على اشغالهم فخفف عنهم الوظيفة الرابعة في هذا
الوقت الاقسام الاربعة وزيد امران احدهما الاشتغال بالكسب وتدبير
المعيشة وحضور السوق فان كان تاجرا فينبغي ان يتجر بصدق وامانة وان كان
صاحب صناعة فبنصح وشفقة ولا ينسى ذكر الله تعالى في جميع اشغاله ويقتصر
من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على ان يكتسب في كل يوم لقوته فاذا
حصل كفاية يومه فليرجع الى بيت ربه وليتزود لآخرته فان الحاجة الى زاد

كذلك في التحامل من التلاوة فإن كان بيت أسلم لدينه وأجمع لهمه فالبيت أفضل
ففي هذا إحياء هذا الورد وهو أيضا وقت غفلة الناس كإحياء الورد الثالث
في الفضل وفي هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال إذ يكره نومتان
بالنهار قال بعض العلماء ثلاث يمقت الله عليها الضحك بغير عجب والأكل
من غير جوع والنوم بالنهار من غير سهر بالليل والحد في النوم أن الليل و
النهار أربع وعشرون ساعة فالاعتدال في نومه ثمان ساعات في الليل و
النهار جميعا فإن نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار وإن نقص من
مقداره استوفاه بالنهار فحسب ابن آدم إن عاش ستين سنة أن ينقص
من عمره عشرون سنة ومهما نام ثمان ساعات وهو ثلث فقد نقص من
عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذاء الروح كما أن الطعام غذاء الأبدان
وكما أن العلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه عنه وقدر الاعتدال هذا
والنقصان منه ربما يفضي إلى اضطراب البدن إلا من يتعود السهر تدريجا
فقد يمرن نفسه عليه من غير اضطراب وهذا الورد من أطول الأوراد
وأمتعها للعباد وهو أحد الآصال التي ذكرها الله تعالى إذ قال ولله يسجد
من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال وإذا
سجد لله عز وجل الجمادات فكيف يجوز أن يغفل العبد العاقل عن أنواع
العبادات الورد السادس إذا دخل وقت العصر دخل وقت الورد
السادس وهو الذي أقسم الله تعالى به فقال تعالى والعصر هذا أحد معنيي
الآية وهو المراد بالآصال في أحد التفسيرين وهو العشي المذكور في قوله
وعشيا وفي قوله بالعشي والإشراق وليس في هذا الورد صلاة إلا أربع
ركعات بين الأذانين والإقامة كما سبق في الظهر ثم يصلي الفرض ويشتغل
بالأقسام الأربعة المذكورة في الورد الأول إلى أن ترتفع الشمس إلى رؤوس

التي يخلف أحدهما الآخر في الفضل والثاني ان يخلف فيتدارك فيه ما فات في أحدهما
الورد الرابع ما بين الزوال الى الفراغ من صلاة الظهر وراتبته وهذا أقصر
أوراد النهار وأفضلها فاذا كان قد توضأ قبل الزوال وحضر المسجد فمهما
زالت الشمس وابتدأ المؤذن الأذان فليصبر الى الفراغ من جواب أذانه
ثم ليقم الى احياء ما بين الأذان والاقامة فهو وقت الاظهار الذي أراده
الله تعالى بقوله وحين تظهرون وليصل في هذا الوقت أربع ركعات لا
يفصل بينهن بتسليمة واحدة وهذه الصلاة وحدها من بين سائر
صلوات النهار نقل بعض العلماء انه يصليها بتسليمة واحدة ولكن طعن في
تلك الرواية ومذهب الشافعي رضي الله عنه انه يصلي مثنى مثنى كسائر
النوافل ويفصل بتسليمة وهو الذي صحت به الاخبار وليطول هذه الركعات
اذ فيها تفتح أبواب السماء كما اوردنا الخبر فيه في باب صلاة التطوع وليقرأ فيها
سورة البقرة أو سورة من المئين أو اربعا من المثاني فهذه ساعات يستجاب
فيها الدعاء وأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرفع له فيها عمل ثم يصلي
الظهر بجماعة بعد أربع ركعات طويلة كما سبق أو قصيرة لا ينبغي ان يدعها
ثم ليصل بعد الظهر ركعتين ثم أربعا فقد كره ابن مسعود ان تتبع الفريضة
بمثلها من غير فاصل ويستحب ان يقرأ في هذه النافلة آية الكرسي وآخر سورة
البقرة والآيات التي أوردناها في الورد الاول ليكون ذلك جامعا بين الدعاء
والذكر والقراءة والصلاة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت الورد
الخامس ما بعد ذلك الى العصر ويستحب فيه العكوف في المسجد مشتغلا
بالذكر والصلاة أو فنون الخير ويكون في انتظار الصلاة معتكفا فمن
فضائل الأعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سنة السلف
كان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويا

فان ساوى يومه امسه فيكون مغبونا وان كان شرا منه فيكون ملعونا فقد
قال صلى الله عليه وسلم لا بورك لي في يوم لا ازداد فيه خيرا فان رأى
نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره مترفها عن التجشم كانت بشارة فليشكر
الله تعالى على توفيقه وتسديده اياه لطريقه وان تكن الاخرى فالليل خلفة
النهار فليعزم على تلافي ما سبق من تفريطه فان الحسنات يذهبن
السيئات ويشكر الله تعالى على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره طول
ليله ليشتغل بتدارك تقصيره وليحضر في قلبه ان نهار العمر له
آخر تغرب فيه شمس الحياة فلا يكون لها بعدها طلوع
وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار
فليس العمر الا ايام معدودة
تنقضي لا محالة جملتها
بانقضاء آحادها

فهرست الجام العوام عن علم الكلام

الجهان وتصفر والافضل فيه انه منع عن الصلوٰة تلاوة القرآن بتدبر وتفهم انه يجمع ذلك بين الذكر والدعاء والفكر فيندرج في هذا القسم اكثر مقاصد الاقسام الثلاثة الورد السابع اذا اصفرت الشمس بان تقرب من الارض بحيث يغطي نورها الغبارات والبخارات التي على وجه الارض ويرى صفرة في ضوئها دخل وقت هذا الورد وهو مثل الورد الاول من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لانه قبل الغروب كما ان ذلك قبل الطلوع وهو المراد بقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وهذا هو الطرف الثاني المراد بقوله تعالى فسبح واطراف النهار قال الحسن كانوا اشد تعظيما للعشي منهم لاول النهار وقال بعض السلف كانوا يجعلون اول النهار للدنيا وآخره للآخرة فيستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وسائر ما ذكرناه في الورد الاول مثل ان يقول أستغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واسأله التوبة و سبحان الله العظيم وبحمده ماخوذ من قوله تعالى واستغفر لذنبك و سبح بحمد ربك بالعشي والابكار والاستغفار على الاسماء التي في القرآن أحب كقوله استغفر الله انه كان غفارا استغفر الله انه كان توابا رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ويستحب ان يقرأ قبل غروب الشمس والشمس وضحاها والليل اذا يغشى والمعوذتين ولتغرب الشمس عليه وهو في الاستغفار فاذا سمع الاذان قال اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك واصوات دعاتك كما سبق ثم يجيب المؤذن و يشتغل بصلاة المغرب وبالغروب قد انتهت اوراد النهار فينبغي ان يلاحظ العبد أحواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة

فهرست المضنون الصغير

صفحه

فهرست المضنون الكبير

صفحه

CHEETRA PRABHA PRESS. BOMBAY.